
أخبار الكويت



أخبار الكويت

رسائل علي بن غلوم رضا. الوكيل الإخباري لبريطانيا في الكويت
(١٨٩٩ - ١٩٠٤)

تحرير وتقديم
أ. د. عبدالله يوسف الغنيم
رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مادة هذا الكتاب جاءت على شكل
مقالات نشرت في جريدة القبس الكويتية
ابتداء من العدد ١٢٢٠٩ حتى العدد ١٢٢١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد توقيع اتفاقية الحماية بين بريطانيا والكويت في يناير عام ١٨٩٩ لم يكن بالإمكان آنذاك تعيين ممثل بريطاني رسمي في الكويت، وذلك رغبة من الحكومة البريطانية في أن يظل هذا الاتفاق سريا بين الطرفين، خشية إثارة الدولة العثمانية التي كانت لها أطماعها في الكويت.

ومن ثم كان تعيين مندوب موثوق به في الكويت من قبل السلطات البريطانية من جنسية أخرى وبشكل سري أمرا مطلوبا لتزويد المقيم السياسي البريطاني في بوشهر بأخبار الكويت، بالإضافة إلى متابعة نشاطات الشيخ مبارك الصباح والاطلاع على خططه وصلاته بالآخرين.

وفي يونيو عام ١٨٩٩ تم تعيين السيد علي بن غلوم رضا مندوبا إخباريا في الكويت، وقد قام بعمله هذا تحت ستار النشاط التجاري، وكانت أول رسالة بعثها هذا المندوب الإخباري في ٤ من شهر سبتمبر ١٨٩٩ واستمر في إرسال رسائله وتقاريره حتى ٤ من مايو ١٩٠٤، وقد أرسل خلال هذه الفترة ما يقرب من تسعين رسالة تضمنت الكثير من الأحداث والأخبار والمعلومات عن الكويت في تلك الحقبة.

معلومات جديدة :

وهذا الكتاب يقدم من خلال هذه الرسائل مادة وثائقية أولية للباحثين في تاريخ الكويت. وقد حرصنا على أن تعرض على نحو يعين على البحث والاطلاع، وقد تم تصديرها بدراسة موضوعية تلقي الأضواء على التفصيلات الدقيقة التي تناولتها الوثائق حتى يمكن من خلالها الإلمام بالأحداث التي مرت بها الكويت ومنطقة الجزيرة العربية خلال الفترة المذكورة، وهي معلومات لم تطلها أو تصل إليها جهود المؤلفين المعاصرين، فضلا عن أنها تعتمد على النقل المباشر عن أصحاب الشأن والقرار دون تحريف أو تحوير.

صلات مبارك :

وتغطي الرسائل والوثائق المذكورة للمندوب الإخباري علي بن غلوم موضوعات عدة حول علاقة الشيخ مبارك الصباح بكل من بريطانيا والدولة العثمانية، وكذلك أمراء شبه الجزيرة العربية، وبخاصة الأمير عبدالعزيز آل رشيد حاكم حائل، إضافة إلى صلة الشيخ مبارك الصباح بروسيا، حيث تحدثت الوثائق عن زيارات قام بها عدد من القناصل والمبعوثين الروس إلى الكويت إبان هذه الفترة.

كما تضمنت الرسائل كذلك مجموعة من الأحداث المحلية والقضايا العامة لتكون التغطية شاملة لكل ما يحدث في الكويت ومحيطها الإقليمي سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.

وقد حاولنا في الدراسة التي وضعناها بين يدي هذه الوثائق والرسائل أن نصنف الوقائع وفقا لموضوعاتها التي تعددت في أكثر من وثيقة، وذلك وفقا لمنهج رأيناه مناسبا للدارسين والباحثين، ثم أوردنا صورا للوثائق نفسها مرتبة ترتيبا تاريخيا لتسهل متابعتها، وفي مقابل كل وثيقة وضعنا ملخصا لأهم ما ورد فيها، مع بيان التاريخ الميلادي المقابل للتاريخ الهجري الذي سارت عليه الوثائق المذكورة .

أما مصدر هذه الوثائق والرسائل فهو مكتب الهند Indian Office الذي ضمت مقتنياته في الوقت الحاضر إلى المكتبة البريطانية في لندن، وتوجد الرسائل المذكورة في الملفات التالية:

I0R R/15/1/471- I0R R/15/1/472- I0R R/15/1/474 - I0R R/15/1/475 - I0R R/15/1/476

رسائل مفقودة :

ولابد من الإشارة هنا إلى أننا حاولنا بقدر الإمكان أن نجمع رسائل علي بن غلوم رضا من الوثائق البريطانية، إلا أننا نعتقد أن هناك رسائل قد فقدت أو لم تتضمنها الملفات التي اطلعنا عليها. فليس من المنطقي أن يكتب الوكيل الإخباري في بعض الأحيان ثلاث رسائل مؤرخة بتاريخ واحد ثم ينقطع نحو شهر أو أكثر، ومن أمثلة انقطاعه عن الكتابة شهر ديسمبر ١٩٠٠ ويناير ١٩٠١ ويناير ومارس ١٩٠٢ والفترة من مايو إلى أكتوبر ١٩٠٢ والفترة من أبريل ١٩٠٣ إلى أبريل ١٩٠٤. والأمل كبير في العثور على رسائل تلك الفترات، وعندها ستعاد طباعة هذا الكتاب، وستكتمل حلقات أخبار الكويت والأحداث التي مرت بها.

وتحتاج هذه الرسائل من الباحثين المعنيين إلى مزيد من الاستقراء والتدقيق، فنحن نقدم كل تلك الرسائل كوثائق تحتمل النقد والتحليل، وقد أشرنا إلى جانب من ذلك في موقعه من التمهيد، ومن ذلك أن الوكيل الإخباري قد سجل تاريخ وصول السفينتين "بويارين" الروسية و"انفيرني" الفرنسية في ٥ من مارس ١٩٠٣، بينما سجلات السفينة الروسية قد حددت يوم ٢٠ من فبراير ١٩٠٣ تاريخا لوصولهما. وتختلف بعض الوقائع الأخرى الواردة في رسائله عما جاء في المصادر المكتوبة وهذا كله يحتاج إلى بحث متتبع يربط بين ما جاء في الرسائل من أخبار وما جاء في الوثائق البريطانية ورسائل الشيخ مبارك في تلك الفترة من أمور ذات صلة بالموضوع. وقد حاولنا في التمهيد أن نقدم أنموذجا مختصرا لما ينبغي أن يتم في هذا الشأن، راجين أن تتاح الفرصة لمزيد من البحث والمعرفة في هذا الجانب من تاريخ الحياة السياسية والاجتماعية في الكويت، وأن تثري التفصيلات التي اشتملت عليها هذه الرسائل موضوعات وقضايا مختلفة في تاريخ الكويت إذا اجتمعت إلى جانبها أو ضمت إليها، فالكلمة إلى الكلمة، والمعلومة إلى المعلومة يؤكدان الحقيقة، ويصلان بها إلى قيمة عالية ومهمة في مجال البحث والدراسة بالنسبة للأجيال المعاصرة واللاحقة من أبناء وطننا الكويت ومنطقة الخليج العربي بأسرها.

والله يهدي من يشاء إلى ما ينتفع به من علم نافع وقول سديد.

كانت الظروف السياسية المحيطة بالكويت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حافلة بالصراعات على المستويين الدولي والإقليمي، فقد كانت الدولة العثمانية تحاول المرة تلو الأخرى السيطرة على الكويت، غير أن تنبه حكامها وحرصهم وحكمتهم في التصدي لتلك المحاولات كانت تحول دون ذلك. وكانت الدول الكبرى الأخرى مثل بريطانيا وروسيا وألمانيا وفرنسا تحاول أيضا أن يكون لها موقع قدم في هذا المكان الاستراتيجي. أما على المستوى الإقليمي فقد كان آل رشيد حكام حائل قد استولوا على نجد، وأدركوا قيمة موقع الكويت التي يصلهم عن طريقها مختلف أنواع مواد التجارة والبضائع، ومن الطبيعي أن يثير آل رشيد على الكويت لجوء عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، وحماية الشيخ مبارك له ولأبنائه ومعاونتهم في استعادة ملكهم في نجد، فتواترت غارات أمراء حائل على أراضي الكويت وأحداث نهبهم للعشائر التابعة لها. يضاف إلى ذلك الشيخ سعدون أمير المنتفك الذي كان يريد أن يكون له مكان على خارطة العراق السياسية، كان يرى من أجل ذلك أهمية الدخول في إطار هذه الصراعات الإقليمية.

التحالف مع أقوى الأطراف :

في ظل هذه الظروف السياسية الصعبة والمتشابكة وجدت الكويت أن التحالف مع أقوى الأطراف هو السبيل الأمثل لحماية استقلالها وصيانة كيانها السياسي، ففي يناير من عام ١٨٩٩ وقعت الكويت ممثلة في أميرها الشيخ مبارك الصباح اتفاقية مع الحكومة البريطانية، تضمن الأخيرة بموجبها حماية الكويت من التعديات الأجنبية كما تضمن استقلالها واستقرار النظام السياسي بها. وكان من ضمن الاتفاق بين الطرفين أن تظل تلك الاتفاقية سرية إلى أن تسنح الظروف السياسية المناسبة لإعلانها.

المندوب الإخباري :

وبناء على هذه الاتفاقية كان من المفترض أن يتم تعيين ممثل بريطاني في الكويت، لكن حكومة الهند البريطانية خشيت أن يوفر ذلك الذريعة للدول الأخرى لتعيين وكلاء أو ممثلين لها في الكويت، كما أن ذلك قد يؤدي إلى إثارة شكوك العثمانيين أو النيل من العلاقات الودية معهم، خاصة أن الدولة العثمانية ليس لها ممثل في الكويت ولم يسمح لها بذلك من قبل. وبعد مشاورات طويلة تم الاتفاق على أن تكون شؤون الكويت من مسؤولية المقيم السياسي البريطاني في بوشهر. وأن يتم تعيين مندوب موثوق به من قبل السلطات البريطانية من جنسية أخرى وبشكل سري في الكويت لتزويد المقيم السياسي البريطاني في بوشهر بأخبار الكويت، ومتابعة نشاطات الشيخ مبارك الصباح السياسية والتعرف على خططه وتزويده بالنصائح التي من شأنها الحد من توريط السلطات البريطانية في إشكالات مع الدولة العثمانية على وجه الخصوص، أو في صراعات الشيخ مبارك مع ابن رشيد أمير حائل، لاسيما أن الشيخ مبارك قد وجد في اتفاقية الحماية سندا قويا له في مواجهة الأطماع المحيطة به.

وبناء على ما تقدم تم تعيين السيد علي بن غلوم رضا مندوبا إخباريا في الكويت للمقيمية السياسية البريطانية في بوشهر، ويبدو أن لعائلة هذا الشخص سابق خدمة للحكومة البريطانية، فهو يذكر في رسالته المؤرخة في ٢ من شهر إبريل ١٩٠٠ أنه: "لن يخالف وصية الآباء في حق دولة باليوز([1]) (بريطانيا) وكذلك وصية المرحوم أغا". وكان أسلوب بريطانيا في اختيار ممثليهم أن يكونوا من عائلة معروفة بخدمتها للحكومة البريطانية([2]). ومن المؤكد أن ذلك التعيين كان بتوصية

---

[1] - كان يطلق لقب (باليوز) على قناصل الدول الأجنبية، وهو يقابل اللفظ الأجنبي (بايلوز) وهو لفظ إيطالي شاع بين أهالي البصرة حتى باتوا يطلقونه على جميع القناصل. ونجد في جميع مراسلات الشيخ مبارك أو شيوخ وأمراء الخليج ان هذا هو اللفظ الذي يخاطب به المقيم السياسي البريطاني في الخليج.
انظر: حامد البازي: البصرة في الفترة المظلمة، دار منشورات البصري، بغداد ١٩٦٩.

[2] - مثال ذلك ان محمد رحيم بن عبدالنبي بن محمد علي بن صفر المندوب البريطاني في البحرين ينحدر من أسرة عربية كانت تسكن في الحلة بالعراق، وقد وفد جده حاجي صفر إلى بوشهر في أواخر حياته، وأنجب حاجي محمد علي الذي ولد وتزوج في بوشهر. وقد عمل محمد علي هذا عميلا للحكومة البريطانية نحو عشرين سنة في ميناء المخا باليمن، وأنجب أربعة من الأبناء، تابع اثنان منهم عمل أبيهما: أولهما حاجي عبدالرسول الذي خدم الحكومة البريطانية في المخا وعدن، والثاني حاجي عبدالنبي الذي ولد في بوشهر وعمل مندوبا إخباريا سريا في البحرين، وخلف عبدالنبي في البحرين احمد ابن أخيه عبدالرسول، ثم خلف أحمد في هذا العمل في البحرين أغا محمد رحيم، وهو الذي كان أحد الشهود على اتفاقية الحماية البريطانية الكويتية التي تمت في يناير ،١٨٩٩ ولا يستبعد أن يكون علي بن غلوم رضا يرتبط بصلة قرابة بالعائلة المذكورة.
Record of Bahrain, Primary Documents 1820 - 1960 vol.3 (1892 - 1923). - Archive Editions, london 1993, p.87

من محمد رحيم بن عبدالنبي صفر المندوب البريطاني في البحرين ([1]) وبمباركة من الشيخ مبارك الصباح، بدليل تعاونه معه ودعوته إليه لينقل المعلومات التي يريدها إلى المقيم السياسي، وإبلاغه بالأخبار التي تصل إلى الكويت سواء ما يتعلق منها بالدولة العثمانية أو بأخبار ابن رشيد والسعدون وابن سعود. ويبلغه أيضا بأخبار لقاءاته الخاصة مع مختلف الزوار الذين يزورون الكويت مثل لقاءاته بقناصل روسيا وفرنسا وألمانيا وغيرها من ممثلي الدول، وكان الشيخ مبارك يقدر أهمية المعلومة التي يريد إيصالها إلى السلطات البريطانية وبالطريقة التي تتفق مع مصالح بلاده.

وكانت الرسائل التي يبعث بها علي غلوم تكشف عن ذلك، وقد تكرر فيها ولدرجة المبالغة مدح الشيخ مبارك لبريطانيا وانحيازه إليها، ونبذه للدولة العثمانية. ويكشف أسلوب تلك الرسائل أيضا عن أن الشيخ مبارك الصباح قد احتوى الحاج علي بن غلوم وحوله إلى مجرد كاتب عنده.

وتشير الوثائق البريطانية إلى أن الشيخ مبارك الصباح كان يرسل علي بن غلوم إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر في بعض الأمور التي لا تحتمل التأخير أو لضمان السرية المطلوبة، إذ تشير الرسالة المؤرخة في ٢ من شعبان ١٣١٨هـ (٢٥ نوفمبر ١٩٠٠) المرسلة من الشيخ مبارك الصباح إلى المقيم السياسي إلى أنه قد أرسل "بهذه الدفعة (أي هذه المرة) حجي علي بن غلوم مخصوصا لصوبكم العالي كما هو لازم علينا العرض لحضرتكم بما يقتضي ويحدث". وفي رسالة أخرى مؤرخة في ١ من جمادى الثانية ١٣٢٠هـ (٥ سبتمبر ١٩٠٢) يذكر الشيخ مبارك ".. والمكتوب المذكور سيرناه بيد حجي علي بن غلوم أيضا يفصل ما جرى من حركات ودسائس الترك تعلمونها من رأس حجي علي.." (الوثيقتان ٢، ٣).

والجدير بالذكر أن الشيخ مبارك الصباح كان لديه أيضا عدد من المعتمدين الثقات من أبناء الكويت الذين يبعث بهم أيضا في بعض المهام السياسية ولديه وسائله المختلفة للوصول إلى المعلومات من خصومه أو من حلفائه على حد سواء. ومن بين أولئك الأمناء المعتمدين الذين أشارت إليهم الوثائق المرتبطة بالفترة التي نتكلم عنها كل من عبداللطيف الهارون وعبدالله بن إبراهيم السمكة (الوثيقتين ٤، ٥ بتاريخ ٢٩ مارس ١٨٩٩ و٩ أبريل ١٨٩٩). ولما كانت مهمة كل منهما سرية، لم يذكر المندوب البريطاني في البحرين محمد رحيم بن عبدالنبي صفر في رسالته للمقيم السياسي البريطاني في بوشهر اسم الشيخ مبارك الصباح بل عبر عنه باسم 'الصديق' أو 'الصديق المعهود' (الوثيقتان ٤ أ، ٤ ب).

وقد عمل الحاج علي بن غلوم رضا في الكويت تحت ستار النشاط التجاري، وكان يمارس هذا العمل بالفعل ولم يكن له مكتب رسمي، بل كان عمله الحقيقي لا يعرفه سوى الشيخ مبارك وأبناؤه. وقد كانت بداية تعيينه (تحت التجربة) في شهر يونيو من عام ١٨٩٩ بمرتب شهري لا يزيد على خمسين روبية. ثم صدر قرار من المقيم السياسي في الخليج بتاريخ ٢٦ من نوفمبر ١٩٠٠ بأن يستمر هذا الوكيل في

---

[1] ـ تنص الوثيقة المرسلة من محمد رحيم إلى المقيم السياسي على ما يلي: 'واصلا لسعادتكم لفا الكتاب الواصل إلينا من الكويت من الحاج علي بن غلوم الشخص الذي عيناه لرفع الحوادث الصادرة والاخبار في الكويت' وهو دليل على دور محمد رحيم في تعيينه.

عمله في الوقت الراهن([1]). وكانت أول رسالة كتبها الحاج علي بن غلوم بتاريخ ٤ من سبتمبر ١٨٩٩، وباللغة الفارسية التي كتب بها مجموعة من الرسائل في بداية عمله وفي نهايته، وكان أحيانا يكتب الرسالة الواحدة باللغتين العربية والفارسية، لكن بوجه عام كانت كتابته باللغة العربية هي الأغلب، وآخر رسالة كتبها علي بن غلوم كانت مؤرخة في ١٠ مايو ١٩٠٤، أي قبل وصول الوكيل السياسي البريطاني الرسمي بأقل من شهر، ويبلغ مجموع الرسائل نحو تسعين رسالة، بعضها موجه إلى الممثل البريطاني في البحرين، ومنها تنقل إلى بوشهر، والبعض الآخر وبخاصة الرسائل الأخيرة كانت توجه مباشرة إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر.

وقد ظل عمل الحاج علي بن غلوم سريا إلى منتصف عام ١٩٠١، إذ يذكر في رسالته المؤرخة في ٢٩ يونيو من ذلك العام: "أن خدمتنا للدولة (البريطانية) كانت في البداية سرية، أما الآن، وبعد ذهابنا إلى الفاو والإبراق لكم بشأن ورود المراكب البريطانية إلى الكويت بناء على أمر الشيخ مبارك الصباح، وما تلا ذلك من مباشرته لتلك المراكب عند وصولها للكويت، وقضاء ما تحتاج إليه من لوازم وحاجات، فقد صار مشهورا لدى أهل الكويت أنني (الحاج علي) وكيل المقيم السياسي لخدمة المراكب".

وهنا لابد من تسجيل ملاحظة ذكرها قائد الطراد الروسي "فارياغ" الذي زار الكويت في ٢١ ديسمبر ١٩٠١، فقد أشار إلى وجود عميل تجاري لشركة الملاحة البريطانية الهندية التي تقوم برحلات منتظمة كل أسبوعين، وبحسب المعلومات التي جمعها القنصل الروسي أوسنيكو نصب عميل الشركة المذكورة "سارية" في فناء الوكالة لإجراء الاتصالات مع السفن القادمة التابعة لهذه الشركة، ولكن السارية قطعت - كما لو كان ذلك بأمر الشيخ مبارك، رغم أنه لم يعترف بذلك فيما بعد للإنكليز، وألقى الذنب على البدو الرحل، ومع ذلك فقد أعيد نصب السارية، ولكن في فناء دار الشيخ هذه المرة لكي تجري المباحثات تحت إشرافه([2]).

وظل هذا الوكيل الإخباري أو العميل السري مستمرا في عمله إلى أن تم تعيين الكابتن نوكس في أغسطس من عام ١٩٠٤، وقد تضمنت برقية وزارة الخارجية البريطانية رقم ٢٤٥٧ المؤرخة في ٣ من أغسطس من ذلك العام مجموعة من الإرشادات للوكيل السياسي (البريطاني) الجديد، فعليه أن يتصرف على نحو لا يلفت إليه الأنظار، وأن يقيم علاقات ودية مع الشيخ مبارك الصباح والبارزين من الشخصيات الكويتية، والعمل على حماية المصالح التجارية البريطانية. واليقظة التامة لتحركات الأتراك على حدود الكويت، أو تدخل أي جهة في الوضع القائم في الكويت، وإرسال معلومات دقيقة عن كل ما يجري في نجد بين أسرتي آل سعود وآل رشيد، وغير ذلك من المعلومات التي كانت في واقع الأمر من الموضوعات

---

[1] - **Saldanda,J.A (1986): The Persian Gulf (PR CIS) Volume 5, p82, Archive Editυons, london.**
وبحسب الوثيقة رقم ٦ كان مرتب علي بن غلوم خمسة وثلاثين روبية.

[2] - **يزفان. ي: سفن روسية في الخليج العربي (١٨٩٩ - ١٩٠٣) ترجمة سليم توما. دار التقدم، موسكو ١٩٩٠م، ص٩٢ - ٩٣.**

التي كان الكثير منها يتابعها الحاج علي بن غلوم ويبعث بها إلى المقيم السياسي. وقد استقبل الشيخ مبارك تعيين الوكيل السياسي الجديد بسرور بالغ، لأنه اعتبر هذا التعيين ضمانا للحماية البريطانية للكويت([1]).

وبتعيين الكابتن نوكس بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الكويتية البريطانية، فقد كانت الفترة السابقة التي سجل أحداثها علي بن غلوم فترة مليئة بالأحداث واشتملت على تفصيلات أغفلتها كتب التاريخ المتعلقة بهذه المنطقة.لكن الفترة الجديدة تميزت بأسلوب جديد في رصد الأحداث يعتمد على المعرفة والتحليل السياسي، فلم تكن مجرد معلومات (خام) تفتقر في بعض الأحيان إلى الدقة، وتتلون في كثير من الأحيان بآراء الحاكم الخاصة.

ولا نعرف على وجه التحديد متى ترك علي بن غلوم عمله مع الوكيل السياسي الجديد، مع أن أول رسالة اشتملت عليها تقارير الممثلية السياسية البريطانية في الكويت كانت بتاريخ ٥ من يناير ١٩٠٥، كانت تشتمل على طلب من علي بن غلوم لزيادة مرتبه، ذكر فيها أنه يتقاضى خمسة وثلاثين روبية، وأن هذا المبلغ هو مصرف القند (السكر) والشاي في كل شهر، وأنه صاحب عيال عددهم عشرون شخصا نفقتهم في ذمته. ويشير فيها أيضا إلى أنه قد ترك معاملاته التجارية في سبيل خدمة الدولة([2]).

ولا يوجد بعد هذه الرسالة أية إشارة إلى هذا الشخص، وربما لم يرق له العمل بعد ذلك مع نوكس وانصرف إلى أعماله الحرة.

---

[1] - Kuwait Political Agency, Arabic Documents (1899 - 1949), Arcive Editions, London, p3.

[2] - saldanha,J.A:The Persian Gulf, P.85- 86

أولا العلاقات الكويتية البريطانية

كانت العلاقات بين بريطانيا والكويت تمر بفترة حرجة خلال الفترة التي تلت عقد اتفاقية الحماية في يناير ١٨٩٩، فبريطانيا لا تريد أن تعلن للعالم ما توصلت إليه من اتفاق، خوفا من حدوث مواجهة قد لا تحمد مع الدولة العثمانية. وفي الوقت نفسه فإن إبقاء الاتفاقية سرية سوف يشجع الدول الكبرى الأخرى مثل روسيا وألمانيا وفرنسا على محاولة التفاهم مع الشيخ مبارك وتقديم عروض أفضل، وكانت هذه الشكوك في محلها فقد أصبحت للشيخ مبارك صداقة متينة مع الروس الذين تكررت زيارات قناصلهم إليه، كما كانت له قنوات مفتوحة مع فرنسا من خلال المستشرق وتاجر السلاح الفرنسي "كوكي"([1]) وتدلنا المراسلات، التي بين الشيخ مبارك وهذين الطرفين، على نوعية الحوارات التي كانت تدور بينه وبين زواره من الأجانب. بل إن الشيخ مبارك صرح للكولونيل جاسكين نائب المقيم السياسي البريطاني في الخليج في أثناء زيارته لتوقيع الاتفاقية بأنه قد تلقى عروضا فرنسية([2]). وأن هذا جعله يضيف نصا إلى الاتفاقية لم يرد في تعليمات الحكومة البريطانية وهو عدم استقبال الشيخ لممثلين من دول أخرى.

ضغوط عثمانية :

في الوقت نفسه، الذي كانت فيه بريطانيا تبذل جهدها في إبقاء اتفاقيتها مع الكويت سرية، كان الشيخ مبارك يريد أن يتم الإعلان عن الاتفاقية وتفعيلها وذلك بسبب الضغوط التركية المتزايدة والأخطار التي تتعرض لها قبائله من آن لآخر من قبل ابن رشيد، كما كان الشيخ مبارك يريد التأكد من صدق نوايا الحكومة البريطانية. ولم تكن محاولة إبقاء تلك الاتفاقية سرية تحول دون شعور الأتراك بأن هناك شيئا ما بين الكويت وبريطانيا، ومن هنا بدأت تركيا في محاولات لممارسة حقوق السيادة على الكويت، فبعد أن أنشأ الشيخ مبارك في مايو ١٨٩٩ إدارة للجمارك في الكويت وفرض رسما قدره ٥% على البضائع الواردة للميناء، قام حمدي باشا والي البصرة وبتعليمات من الباب العالي بتعيين مدير ميناء البصرة

[1] - كتب هذا الاسم في المصادر الحديثة بأكثر من رسم مثل 'غوغيه' و'غوغي' و'غوغييه' و'جوجيه' وقد أثبتنا الرسم الذي اعتمده هو لنفسه فقد كان يوقع رسائله العربية على هذا النحو.
انظر كتاب 'بحوث مختارة من تاريخ الكويت' إصدار مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٥م، ص٦٨.

[2] - Saldanah: p.21.

مديرا لميناء الكويت ومشرفا على الجمارك، وهو الأمر الذي رفضه الشيخ مبارك حيث أعاد ذلك المبعوث فورا ورفض الحديث معه (الرسالة المؤرخة في ٥ سبتمبر ١٨٩٩).

وقد فعل الشيخ مبارك ذلك لأمرين أولهما أنه لم يسبق أن تدخلت الدولة العثمانية بهذه الصورة السافرة في شؤون الكويت، والأمر الثاني هو رغبة الشيخ مبارك أن يؤدي ذلك بالإنكليز إلى الإعلان عن الحماية من أجل أن يقطع دابر الأطماع التي تدور حول بلده([1]).

سر تداوله الكويتيون :

ويشير المندوب الإخباري علي بن غلوم في رسالته المؤرخة في ١٨ ديسمبر ١٨٩٩ إلى أنه منذ وصول سفينة المقيم السياسي البريطاني إلى الكويت فإن أهالي الكويت يتداولون بينهم سر نبأ اتفاق تم بين الشيخ مبارك والمقيم السياسي، يكون فيه الشيخ مبارك مع بريطانيا متى ما حدث خلاف بينها وبين الدولة العثمانية بل إن بعضهم كان يذكر أن علي بن غلوم سوف يقوم بمراسلة المقيم السياسي من طرف الشيخ.

الرسالة الأولى :

لقد كانت التعليمات التي يعمل بموجبها المندوب الإخباري علي بن غلوم واضحة ومحددة، حيث تلقى تلك التعليمات في البحرين، وقد أشار إلى ذلك في أول رسالة له إلى المقيم السياسي البريطاني بقوله : "إن ما تفضلتم به لي في البحرين عرضته على جناب الشيخ مبارك الصباح فأمر بكتابته على الورق بكامله. وسوف أطيع وأنفذ أوامره، ونعمل بما ترونه وتريدونه، وقد أكدت للشيخ مبارك أن الإجراءات التي تقومون بها هي لمصلحته وسوف يرى ثمارها. وطلبت منه إخباري عن تاريخ نشأة الكويت - كما أمرتم - ووعد بأنه سوف يبين لكم هذا الأمر بالتفصيل".

وقد سجل الوكيل الإخباري بنشاط واضح تفصيلات مهمة ومتنوعة عن أخبار الكويت منذ أن بدأ عمله في سبتمبر ١٨٩٩ إلى أن تم تعيين الكابتن نوكس معتمدا بريطانيا رسميا لدى الكويت في عام ١٩٠٤. وتقدم البنود التالية، المتضمنة علاقات الكويت والشيخ مبارك الصباح بكل من الدولة العثمانية وإمارة آل رشيد في حائل والحكومة الروسية، سجلا واضحا وموثقا عن تلك الفترة التي خدم فيها علي بن غلوم. وقد استعرضنا من خلال الرسائل التي بعث بها الوكيل الإخباري ردود الفعل

[1] - **انظر تفصيل ذلك في أثناء الحديث عن علاقة الشيخ مبارك بالدولة العثمانية.**

البريطانية، والحضور المتواصل المتمثل بتردد السفن الحربية البريطانية على ميناء الكويت مثل السفينة لورنس وسفنكس وبيرسي وردبرست وغيرها.

من يدخل ويخرج :

كان يهم البريطانيين معرفة المتغيرات السياسية المختلفة في هذه المنطقة الاستراتيجية من الخليج. كما يهمهم معرفة من يدخل الكويت ومن يخرج منها، وبخاصة من مواطني الدول الكبرى، بالإضافة إلى موضوع تجارة السلاح باعتباره أحد العناصر المهمة التي تتحكم في توازن القوى المتصارعة في هذه المنطقة.

ويتجلى اهتمام علي بن غلوم بتسجيل الداخلين للكويت في عدد من الحالات، وينص في كل حالة منها بأنه سيتابع هذا الأمر ولن يغفل عنه. ومن أمثلة ذلك قوله عن الحاج حسن الحكيم (الطبيب) الذي وصل إلى الكويت في ٢٥ من ذي القعدة ١٣١٧هـ (٢٧ مارس ١٩٠٠) ومعه ابنه ميرزا علي وزوجة ابنه وخادمهم كريم، وأنهم حين وصلوا إلى الكويت استأجروا لهم بيتا ليعالج فيه الناس.

ويقول علي بن غلوم: "وإن شاء الله لن أغفل عن أفعاله، وسأعرفكم بما يستجد عنه وعن غيره من المعلومات والأخبار بناء على وصيتكم، وسأهتم في حال خروجه من الكويت إلى أي بلد يذهب ولن أغفل عن ذلك أبدا". وفي رسالة تالية مؤرخة في ٢٠ من أبريل ١٩٠٠ يذكر "أن الحاج حسن الحكيم منذ أن جاء إلى الكويت لم يتشاف على يده أحد من المرضى، والمترددون عليه قليلون، ويقول إنه ينوي الذهاب إلى البصرة وأن أهل البصرة قد أرسلوا إليه بضرورة القدوم اليهم. وتضيف الرسالة أن الحاج حسن يثرثر ويتكلم مع بعض العوام بأن دولة المسقوف (روسيا) طلبت من بريطانيا أن ترفع في (أبوشهر) علما واحدا بدلا من اثنين، وهذا من ثرثرته".

والمتابع لرسائل الوكيل الإخباري يجد الكثير من الأمثلة عن أولئك الذين دخلوا الكويت في تلك الفترة من التجار ورؤساء القبائل والأطباء وغيرهم.

ولما كانت جوانب عديدة خاصة بعلاقات بريطانيا بالكويت قد نوقشت ضمن حديثنا عن علاقة الكويت ممثلة بالشيخ مبارك مع العثمانيين وآل رشيد والروس كما أشرنا قبل قليل، فإننا سنقف وقفة قصيرة عند موضوع من أهم الموضوعات التي كانت تقلق بريطانيا وهو موضوع تجارة السلاح وتهريبه إلى الكويت.

تجارة الأسلحة وتهريبها :

ففي ٢٤ من شهر مايو سنة ١٩٠٠ تعهد الشيخ مبارك الصباح لبريطانيا بمنع دخول الأسلحة إلى الكويت والخروج منها، وأصدر إعلانا بهذا إلى المباشرين لهذا الأمر كافة ينص على "أن مناور الدولة البهية القيصرية الإنكليس ومناور الدولة العلية الإيرانية لهم إجازة أن يفتشوا السفن التي عليها بيرق الدولتين الفخيمتين المذكورتين وبيرقنا في البحر (المتعنق) على الكويت وأن يقبضوا بطريق بيت المال جميع التفقان (البنادق) وسائر الأسلحة الحربية الموجودة فيها.." ونص إعلان آخر في التاريخ نفسه على أن "دخول التفق (البنادق) والفشق (الطلقات) وسائر الأسلحة وخروجها مطلقا ممنوع في الكويت وتوابعه وجميع التفقان (البنادق) وسائر الأسلحة التي تجلب في المستقبل إلى الكويت أو تخرج منه ستقبض بطريق بيت المال" (الوثيقة رقم ٧).

وقد بعث الشيخ مبارك الصباح برسالة مؤرخة في ٢٩ يونيو ١٩٠٠ إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر يبلغه فيها "أنه بناء على رغبتكم فقد منعنا الأسلحة وزيادة على ذلك فقد عينا محسوبكم حجي علي بن غلوم رضا ومعه أربعة أشخاص للكشف على كل سفينة ترد إلى الكويت من مسقط أو البحرين أو غيرهما من البلدان والقصد من ذلك هو التقيد بهذا الأمر، علما بأن رعيتنا ممتثلين له ولا يقدمون على فعل يخالف ما اتفقنا عليه" (الوثيقة رقم ٨).

وقد أكد الوكيل الإخباري علي بن غلوم تنفيذ الشيخ مبارك لهذا القرار فذكر في رسالته المؤرخة في ١٤ يوليو ١٩٠٠ أن جميع السفن الكويتية القادمة من مسقط يتم تفتيشها بمعرفة أربعة من رجال الشيخ مبارك بالإضافة إلى علي بن غلوم، وذكر الأخير أنهم "يذهبون إلى السفينة القادمة إلى الكويت سواء كان الوقت ليلا أو نهارا ويفحصون حمولتها فإذا وجدوا شيئا من الأسلحة يأخذونها إلى بيت المال، حيث إن المقيم السياسي صرح للشيخ مبارك بذلك، والشيخ مجتهد في تفتيش السفن وأنا أساعده في ذلك".

وذكر أيضا أن بعض ربابنة السفن من أهل الكويت جاؤوا إلى الشيخ مبارك يلتمسون منه أن يسمح لهم إذا حصلوا على حمولة من مسقط إلى الباطنة أو صحار. فقال لهم "إنه لا مانع بشرط أن يكتب لكم السيد برغش (سلطان عمان) ورقة يرخص لكم فيها بذلك، وأن تقوموا بذلك علانية لا سرا، وبغير هذا الشرط سوف تتعرضون للعقاب إذا ما خالفتم أمري". والجدير بالذكر أن مسقط كانت أحد مراكز تسويق الأسلحة المهمة في المنطقة.

وقد تبدو الإجراءات التي اتخذها الشيخ مبارك الصباح نحو وقف تجارة السلاح مخيبة لآمال تجار الكويت لما تدره هذه التجارة من أرباح كبيرة، لكن الواقع يخالف ذلك، فقد استمرت تلك التجارة، وبمعرفة الشيخ مبارك نفسه الذي استغل هذا الاتفاق، فأصبح يتحكم في كمية السلاح التي تصل إلى داخل الجزيرة العربية، وكذلك في منع السلاح من الوصول إلى أعدائه. ومثال ذلك ما جاء في الرسالة التي بعث بها الشيخ مبارك إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج في ٩ من جمادى

الأولى ١٣٢١هـ (٣ من أغسطس ١٩٠٣) يذكر فيها أنه تم القبض على أحد السعاة المغادرين لمدينة البصرة إلى حائل، وقد وجد بحوزته مجموعة رسائل إلى عبدالعزيز آل رشيد تفيد أنه قد طلب من عبدالله المحمد البسام شراء أسلحة له من مسقط، حيث طلب منه شراء ثمانمائة بندقية ماركة مارتين، وأنهم الآن يفكرون في طريقة إخراج الأسلحة المذكورة من مسقط (وثيقة رقم ٩).

وفيما عدا الخبر الذي أشرنا إليه قبل قليل عن دور علي بن غلوم في تفتيش السفن، لا نجد خبرا آخر له عن موضوع الأسلحة إلا في عام ١٩٠٤ أي بعد نحو أربعة أعوام. فقد ذكر الوكيل الإخباري في رسالته المؤرخة في ٦ من شهر مايو ١٩٠٤ أنه في ١٣أبريل ١٩٠٤ وصل إلى الكويت الحاج علي ذهبة ومعه شخص فرنسي يدعى "كوكي" الذي أهدى الشيخ مبارك بندقية من نوع الشوزن، وقد عين لهما الأخير بيتا خاصا ليسكنا فيه. بينما توجه "كوكي" إلى مسقط بعد أن عقد مع الشيخ صفقة أسلحة، بقي الحاج علي ذهبة في الكويت.

وفي ١٣ من شهر صفر ١٣٢٢هـ (٢٩ أبريل ١٩٠٤) وصلت الأسلحة بكاملها وهي ٢٠٠٠ بندقية محمولة في ثلاث سفن كل سفينة كانت تحمل ٧٥٠ بندقية وبقية البنادق تم توزيعها في سفن أخرى تم تفريغها في الكويت.

ويقول الوكيل الإخباري إنه قد سأل أحد البحارة سرا عن كيفية شحن كل هذه الكمية من الأسلحة من مسقط وعدم خشيتهم من عواقب ذلك، فأجاب النوخذة أن "كوكي" استدعانا إلى بيته وسألنا لماذا لا توافقون على شحن أسلحتي إلى الكويت قلنا نخاف من المندوب البريطاني والمندوب البلجيكي، ومن الممكن أن يعترضا طريقنا وتكون أرواحنا وأموالنا في خطر. فأجابهم "كوكي" بأنه لا خوف عليكم مطلقا، فسوف أعطي النوخذة ورقة يحملها معه، ومتى ما واجه المندوب البريطاني أو البلجيكي في الطريق يمكن إبراز الورقة وسوف يمتنع عن تفتيشكم تماما، وإذا اعترض وحصل لكم ما تكرهونه فإنني أتعهد وألتزم بتعويضكم وإطلاق سراحكم وأدفع لكم ثمن السفن نقدا في مسقط، وإن جميع سفنكم في ذمتي وبعهدتي، فهل من شيء تخافون منه بعد ذلك؟

وهكذا أزال الخوف من نفوسنا وقمنا بشحن الأسلحة وحملنا الأوراق التي زودنا بها "كوكي"، وحينما علم نواخذة بقية سفن الكويت بذلك والضمان الذي قدمه "كوكي" اشتروا الأسلحة وشحنوها إلى الكويت.

ويضيف الوكيل الإخباري أن الحاج علي ذهبة أقام في المنزل الذي خصصه الشيخ مبارك في ١٧ صفر (٣ مايو ١٩٠٤) وبدأ بالتعامل بصفقات الأسلحة، وكان قد جلب ثلاثة أنواع من الأسلحة للبيع (٢٠٠ مسدس و٢٠٠ بندقية شوزن بأنبوبتين و٣٥٠ بندقية مارتين والمجموع ٧٥٠).

و"كوكي" المذكور في هذه الرسالة هو مستشرق وتاجر سلاح فرنسي مشهور (Antonin Goguyer) تعلم العربية في وقت كان الاستشراق الفرنسي في ذروة نشاطه، ثم بدأ حياته العملية مترجما في المحاكم التونسية، وكان يكتب في الصحف العربية التي تصدر في تونس، التي كانت تتعارض مع السياسة الفرنسية الاستعمارية هناك، فاضطرت السلطات الفرنسية إلى إبعاده، ونشط بعد ذلك في الصومال وإثيوبيا، وكان يمد المواطنين بالسلاح ضد البريطانيين مما أدى إلى إلقاء

القبض عليه وسجنه ثم إبعاده عن البلاد. وقد انتقل نشاطه بعد ذلك إلى البحرين التي جاء إليها بصفته وكيلا لشركة مجوهرات فرنسية. وكان ذلك غطاء لمهمتين أساسيتين الأولى تجارة السلاح والأخرى عمله مراسلا للسلطات الفرنسية وعميلا لها. وربما كانت تجارة السلاح أيضا جزءا من المهمة الثانية.

ومن خلال تجارة السلاح ارتبط "كوكي" بصلة وثيقة مع الشيخ مبارك الصباح الذي كان يعتبر هذه التجارة مصدرا من مصادر نفوذه في داخل الجزيرة العربية، فضلا عما تدره من أرباح لخزينة الكويت. وتشير المصادر إلى أن "كوكي" قد انتقل بعد البحرين إلى مسقط، وأصبح من أنشط تجار السلاح الفرنسيين حيث كان يجري نقله في سفن تحمل العلم الفرنسي مما جعل تجارته في مأمن من الخضوع لتفتيش السفن البريطانية، وحظي "كوكي" بنفوذ كبير لدى سلطان مسقط من جهة والعديد من الوزراء الفرنسيين من جهة أخرى. وقد تمكن "كوكي" من تكوين ثروة قدرت بأربعين ألف جنيه استرليني، ولدى وفاته عثر في مستودعه على ١٠٠ ألف قطعة سلاح من مختلف الأشكال وما لا يقل عن ١٠ ملايين قطعة من الذخائر اللازمة لاستعمال تلك الأسلحة([1]).

أما عن العلاقة التي ربطت بين "كوكي" والشيخ مبارك، فتقدمها الوثائق الفرنسية بصورة مختلفة عما ذكره الوكيل الإخباري، فقد ذكرت أن "كوكي" قد جاء إلى الكويت عام ١٩٠٤ متنكرا في هيئة رجل عربي، وأطلق على نفسه اسم "عبدالله المغربي"، وقد استضافه الشيخ مبارك - الذي لم تكن تخفى عليه حقيقته - في قصره حيث مكث نحو ثلاثة أشهر غادر بعدها إلى مسقط. وقد حاول الاثنان أن تكون هذه الإقامة الطويلة بعيدا عن أنظار الإنكليز الذين كان "كوكي" من أشد المناهضين لهم، وعمله في تجارة السلاح كان ضد رغبتهم وسياستهم في منطقة الخليج العربي. واستطاع الشيخ مبارك أن يستفيد من "كوكي" في معرفة توجهات القوى الكبرى التي كانت تتصارع على تثبيت أقدامها في منطقة الخليج العربي، وقد استطاع مبارك بسلوكه السياسي أن يوظف هذه المعلومات توظيفا جيدا لمصلحة الكويت. وخلال تلك الإقامة كذلك تم الاتفاق بين مبارك وكوكي - سرا - على ترتيبات شحن الأسلحة إلى الكويت بسفن محلية.

وقد ظلت علاقة الشيخ مبارك الصباح بكوكي مستمرة تعكسها المقالات المتعددة التي كتبها كوكي، والتي وصف فيها الشيخ مبارك بأنه "رجل يقر بالجميل، وأنه واسع الاطلاع، ولا يدفع للبريطانيين أكثر مما هو ضروري للخدمات التي يؤدونها، كما أن رغبته في المحافظة على الاستقلال كانت وراء استعداده الدائم للوقوف أمام المؤامرات الغادرة التي تحيط به.."

ولعل من أبرز ما تكشف عنه تلك العلاقة الوطيدة التي ربطت بين الشيخ مبارك وهذه الشخصية الفرنسية المهمة تلك الرسالة التي بعث بها كوكي إلى الشيخ مبارك

---

[1] - كتب هذا الاسم في المصادر الحديثة بأكثر من رسم مثل 'غوغيه' و'غوغي' و'غوغييه' و'جوجيه' وقد أثبتنا الرسم الذي اعتمده هو لنفسه فقد كان يوقع رسائله العربية على هذا النحو.
انظر كتاب 'بحوث مختارة من تاريخ الكويت' إصدار مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٥م، ص٦٨.

للموافقة على إجراء مساع حميدة بتوسيط روسيا وفرنسا للتصالح بينه وبين الباب العالي في تركيا بعد أن تأزمت العلاقة بينهما نتيجة إعلان الحماية البريطانية([1]).

ونخلص من استقراء رسائل الوكيل الإخباري في الكويت إلى أن موقف بريطانيا من الكويت والشيخ مبارك مر في مرحلتين: الأولى مرحلة المراقبة وتسجيل ما يجري في الكويت وما يجري في داخل الجزيرة العربية من أحداث وتغيرات، وبيان علاقات الشيخ مبارك مع الدول الكبرى مثل الدولة العثمانية وروسيا وألمانيا، ومعرفة الأغراب الذين يزورون الكويت وبيان أهدافهم وكانت زيارة السفن البريطانية محدودة نسبيا. وهذا لا يمنع من الاتصالات السرية المباشرة التي كانت تتم بين الشيخ مبارك والمقيم السياسي البريطاني التي توثق وتفصل وتزيد من مساحة المعلومات التي قدمها الوكيل الإخباري علي بن غلوم.

المرحلة الثانية :

أما المرحلة الثانية فقد كانت مرحلة التدخل المباشر للحماية، وقد بدأت هذه المرحلة على وجه الخصوص بعد معركة الصريف في مايو ،١٩٠١ فقد أرادت الدولة العثمانية استغلال مرحلة ما بعد الصريف للتدخل في شؤون الكويت، ظنا منها أن الشيخ مبارك لم يعد في القوة التي تمكنه من مواجهة الأتراك. وقد تحركت عناصر من الجيش السادس من بغداد إلى البصرة بهدف الوصول إلى الكويت، كما قامت الدولة العثمانية بتشجيع ابن رشيد على تشديد هجماته على الكويت.

ولم تقف بريطانيا مكتوفة الأيدي إزاء هذا الأمر، ورأت أنه من الواجب القيام بعمل مباشر لتفعيل الاتفاق الذي بينها وبين الكويت وتقرر إرسال سفينة حربية وتبعتها ثانية وتم إعداد ثالثة لتكون جاهزة، وقد رابطت السفينة الأولى (سفنكس) في ميناء الكويت.

محسن باشا في الكويت :

وفي هذه الأثناء زار الكويت والي البصرة محسن باشا في ٢٩ من محرم ١٣١٩هـ (الموافق ١٨ مايو ١٩٠١). وقد زعم أنه جاء للسلام على الشيخ مبارك وليعرف أسباب موقفه من الدولة العثمانية وميله إلى بريطانيا في الوقت الذي كانت

---

[1] - **الخصوصي، بدر الدين: دراسات في تاريخ الخليج العربي، الكويت ،١٩٨٨ ص١٤٧.**

فيه الخطط العسكرية التركية لاحتلال الكويت جارية. وقد واجه الشيخ مبارك هذا الموقف بعدة إجراءات. أولها أنه قد أرسل ابنه الشيخ جابر لاستقباله عند الجهراء وكان معه أربعمائة فارس، وكان قصد الشيخ مبارك أن يعرف الوالي قدره من خلال استعراض لقوته. والثاني أنه طلب من قائد السفينة البريطانية أن يحضر اللقاء الأول معهم. أما الإجراء الثالث فهو تحديد مدة الزيارة بثلاثة أيام فقط وقد عاد محسن باشا إلى البصرة بعد أن تأكد تماما من ميل الشيخ مبارك إلى البريطانيين على لسانه وعلى لسان الشيخ جابر المبارك الذي أجاب بمنتهى الوضوح عن استفسار الوالي بأننا "لنا عزم على اتباع دولة الإنكليز على ما نراه منها من الشفقة والحمية أما دولة الترك فلم نر منها سوى الأذى والمشقة" وأشار إلى الحشود التركية لغزو الكويت، وذكر أن الكويت بفضل الله قوية وقادرة على المحافظة على حدودها برا وبحرا. ورفض الشيخ مبارك كل العروض والإغراءات التي قدمها محسن باشا، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد. (رسائل الوكيل الإخباري في ١٢، ٢١، ٢٤ مايو و٧ يونيو ١٩٠١).

ويذكر سلوت في كتابه عن الشيخ مبارك الصباح أن القوات العثمانية تحت قيادة محمد باشا الداغستاني قد صدرت لها الأوامر بالعودة إلى العمارة لأسباب ثلاثة أولهما أن مباركا قد دفع سبعة آلاف ليرة تركية إلى قائد الجيش وخمسة آلاف إلى محسن باشا والي البصرة، وثانيهما وجود السفن الحربية البريطانية بالقرب من الكويت، أما الثالث وهو الأرجح انتشار مرض الطاعون في البصرة، فقد أجبر هذا الوباء الخطير الأتراك على إيقاف تحركهم إلى البصرة.

إعلان الاتفاقية :

وبعيدا عن تفصيلات هذه الفترة التاريخية التي أفرد لها كل من بونداريفسكي وسلوت صفحات عديدة فإننا سوف نقتصر، فيما يلي، على ما ذكره الوكيل الإخباري من أحداث:

- في ٢٤ من أغسطس ١٩٠١ وصلت إلى الكويت السفينة العثمانية زحاف. وقبل نزول قائدها إلى البر أنذره بيرس Pers قائد السفينة الحربية البريطانية برسيوس Perseus التي كانت آنذاك راسية في ميناء الكويت بعدم السماح بنزول عسكري تركي إلى البر، وأن عليه النزول وحده إذا ما أراد لقاء الشيخ مبارك. وقد رضخ القائد لأوامر القائد البريطاني، ثم كان لقاؤه الساخن مع الشيخ مبارك وابنه الشيخ جابر الذي انتهى بطرد القائد التركي بعد أن هدد بغزو الكويت برا وبحرا كما جاء في رسالة الوكيل الإخباري بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٠١. وكان هذا أول انكشاف لسرية الحماية البريطانية.

- في ٧ نوفمبر ١٩٠١ زار الكويت السيد رجب النقيب وحاول أن يبقي على علاقة الشيخ مبارك بالدولة العثمانية إلا أن الشيخ مبارك أصر على موقفه وذكر أن "ليس للترك حق علينا، بل نحن لنا الحق عليهم وقد استرجعنا لهم بلد القطيف وبلد الأحساء بالسيف، ولم يكن رئيسنا من دولة الترك" وأكد أنه قد جعل نفسه ورعاياه وجميع عشائره في حماية الدولة الإنكليزية.
- ذكر الوكيل الإخباري في رسالته المؤرخة في ١ ديسمبر ١٩٠١ وصول تلغراف من الباب العالي إلى والي البصرة يفيد بأن على الشيخ مبارك أن يحضر إلى أسطنبول ليتم تعيينه عضوا في مجلس الشورى أو أن يترك الكويت ويسكن في أي مكان خارجها وإلا أرسلنا عليه جيشا لإجباره على الخروج من الكويت. وأنه في ٢٠ من شهر شعبان ١٣١٩هـ أي في ٢ من ديسمبر ١٩٠١ سوف يصل الكويت السيد رجب النقيب ومعه مصطفى نوري باشا أخو والي البصرة ومعهما تلغراف الوالي.

وواضح من رسائل الوكيل الإخباري أن هذا الأمر وضع اتفاقية الحماية البريطانية على المحك فقد أرسل الشيخ مبارك إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر رسالتين مستعجلتين بتاريخ ١٧، ١٩ من شعبان ١٣١٩هـ (٢٩ نوفمبر، ١ ديسمبر ١٩٠١)، يطلب فيهما إجابة واضحة وصريحة من بريطانيا تفيد التقيد بمعاهدة الحماية المبرمة في عام ١٨٩٩ يستند إليها في رده على الدولة العثمانية، وإلا فإنه سوف يعمل على تسوية أموره مع الدولة العثمانية بالطريقة التي يراها مناسبة. مؤكدا أنه إذا لم تبين بريطانيا موقفها في هذا الظرف فمتى يمكن عليها إظهاره؟ (الوثيقتان رقم ١٠، ١١). وقد وصله الرد في ٢٣ شعبان ١٣١٩هـ (٥ ديسمبر ١٩٠١) أي في اليوم الثالث من زيارة النقيب بالإعلان الرسمي للحماية البريطانية.

وقد جاء رد المقيم السياسي البريطاني في رسالتين بتاريخ ٢٣، ٢٤ من شعبان ١٣١٩هـ (٥، ٦ ديسمبر ١٩٠١) ذكرت الرسالة الأولى أن المقيم السياسي قد أرسل إلى السلطات البريطانية يستطلع أوامرها في هذا الشأن، وأن على الشيخ مبارك أن يطلب من النقيب - الذي وصل بالفعل إلى الكويت - إمهاله للرد عليه، وأن للشيخ الحق الكامل في الامتناع عن الرد الفوري في مثل هذا الأمر الخطير. وفي اليوم الثاني وصلت الرسالة الثانية من المقيم السياسي والتي يؤكد فيها التزام بريطانيا بالدفاع عن الكويت والطلب من الشيخ مبارك برفض المطالب العثمانية. وهكذا غادرت السفينة "زحاف" ومعها رجب النقيب ومصطفى نوري باشا دون تحقيق الهدف من زيارتهما (الوثيقتان ١٢، ١٣).

وقد جمع الشيخ مبارك في اليوم التالي تجار الكويت ووجهاءها وأعلن لهم الاتفاق الذي تم مع الحكومة البريطانية، وقد باركوا له حسن تصرفه في إقدامه على هذا الأمر.

وكـان مـن نتيجـة إعـلان الحمايـة أن بـدأ تحـرش العثمـانيين بـالكويـت، ففـي ١٤ فبراير ١٩٠٢، حيث أقام الترك خمس خيام لعساكرهم في جزيرة بوبيان، وقد أبلـغ الشيخ مبارك البريطانيين، فأرسلوا السفينة سفنكس إلى هناك لاستكشاف الأمر.

وعنـد هذه الأخبـار تنتهـي أهم القضايا التـي تمـس العلاقات الكويتيـة البريطانيـة وفق ما وردت في أوراق الوكيل الإخباري ويجد القارئ تفاصيل أخرى حول هذا الموضوع (في الفصل الثاني) عند الحديث عن علاقات الشيخ مبارك بكل من الدولة العثمانية وإمارة آل رشيد. إضافة إلى ما جاء في نصوص الرسائل.

ثانيا - الشيخ مبارك الصباح والدولة العثمانية

يكشف ترتيب الأحداث حول علاقات الشيخ مبارك بالدولة العثمانية في رسائل علي بن غلوم عن كثير من المعلومات. ولا نريد الادعاء بأن تلك المعلومات جديدة بالنسبة إلى ما كتب في تاريخ هذه الحقبة أو أنها أحداث مكتملة السياق، ولكنها تقدم تفصيلات أولية لم تنلها أقلام المصنفين بالتعديل والتحرير، ولم تطلها أيادي المؤلفين المعاصرين. فمن الواضح أن اللقاءات التي تمت في الغرف المغلقة قد نقلت بحذافيرها - ومن أصحاب الشأن أنفسهم- بكل ما تحمله ألفاظهم من بساطة وبعد عن الرياء.

وتسجل رسائل علي بن غلوم مراحل الأطماع العثمانية في الكويت منذ أن بدأت تظهر الإشاعات حول اتفاقية الحماية التي عقدها الشيخ مبارك الصباح مع الحكومة البريطانية في يناير عام ١٨٩٩ وتشير أول رسالتين مؤرختين في ٤ و٥ سبتمبر ١٨٩٩ بعث بهما علي بن غلوم إلى ممثل المقيم السياسي البريطاني في البحرين محمد رحيم بن عبدالنبي إلى بداية المضايقات العثمانية. فقد تحدث في الرسالتين عن وصول أميرال بحري عثماني من البصرة إلى الكويت بتاريخ ٢ سبتمبر ١٨٩٩، وكان معه خمسة عساكر. وقد نزلوا في تلك الليلة في بيت الشيخ مبارك. وبعد سؤال هذا الشخص عن دوافع قدومه إلى الكويت، ومن الذي أوفده إليها، ذكر أنه مأمور من الباب العالي وبتكليف من حمدي باشا والي البصرة ليكون قائدا بحريا في الكويت. فقال له الشيخ مبارك إن بلده لا تحتاج إلى قائد بحري وأن عليه أن يعود من حيث أتى وألا يتم تنزيل شيء من حمولته وأن يسافر في الليلة نفسها. فأجاب القائد البحري بأنه لم يكن يتوقع معاملته بهذه الطريقة وإعادته بهذه السرعة، وأن في ذلك إهانة للدولة العثمانية، وأن الوالي سوف يستاء من هذا الأمر. فرد عليه الشيخ مبارك بأنه لا يريد سماع أي حديث في هذا الأمر وعليه العودة فورا إلى البصرة. وقد عاد بالفعل في الليلة نفسها بحال من الذل والهوان بحسب تعبير علي بن غلوم.

ولم يكتف الشيخ مبارك بهذا الأمر بل أمر الوكيل الإخباري علي بن غلوم أن يكتب على لسانه رسالة منه إلى السيد محمد رحيم ممثل الوكيل السياسي البريطاني في البحرين يصف فيها ما حدث، ويؤكد أن وراء كل ذلك والي البصرة حمدي باشا الذي يضمر له العداء منذ العام الماضي. ويبين أن ذلك العداء بدأ منذ مجيئ المندوب البريطاني إلى الكويت بصحبة محمد رحيم في وقت توقيع المعاهدة بين الكويت وبريطانيا، وبين الشيخ مبارك أيضا أنه لن يعير حمدي باشا أي أهمية التزاما بالاتفاق.

وذكر الشيخ مبارك أن تصرف حمدي باشا نابع من حسده وغيرته، فنحن نحكم الكويت منذ ثلاثمائة سنة، وحكومة الكويت تحت تصرفنا ندير زمام الأمور بها، فقد كانت الكويت أرضا قفراء جاءها جدنا الشيخ صباح مع جماعة من أقاربه وأنصاره فقطنوا بها وبدؤوا بعمارة أرضها وقد كان بداية ذلك الأمر عام ١٠١٧هـ ([1]).

وقد أرسل الشيخ مبارك إلى المقيم السياسي نسخة من الرسالة التي بعثها حمدي باشا وهي مؤرخة في ١٧ ربيع الآخر عام ١٣١٧هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٨٩٩م والتي يذكر فيها أنه من اللازم "وجود رئيس ليمان (ميناء) بطرف الكويت للنظارة (الإشراف) على السفن المترددة لذلك الطرف.. وأنه قد تم تعيين رئيس ليمان البصرة حسن أفندي رئيسا على ليمان الكويت". كما أرسل رد الشيخ مبارك على حمدي باشا والي البصرة وهو مؤرخ في نفس يوم ورود المبعوث التركي حسن أفندي أي في يوم ٢٥ ربيع الآخر ١٣١٧هـ الموافق ٢ سبتمبر ١٨٩٩، وفيها يذكر الشيخ مبارك أن الكويت لا تستقبل سفنا أجنبية وأن هذا المحل أهله وحشيين([2]) (أي أحرار) ولسفنهم تراجع إدارة ليمان البصرة فلا معنى لتغيير ما جرت عليه العادة من قبل (الوثيقة رقم ١٤).

كما أرسل الشيخ مبارك توضيحا مع الرسالتين المذكورتين يذكر فيه أن الإدارة العثمانية منذ مجيئكم مع المقيم السياسي البريطاني في رمضان الماضي (أي زمن توقيع المعاهدة) وهم مستطيرون، رغم أن معاملتنا معهم كانت على جاري العادة، وقد بعثنا إليكم بصورة الرسالة التي وصلتنا منهم أخيرا وبصورة ردنا عليها. ونفيدكم أن حمدي باشا (والي البصرة) يتربص بنا منذ ولايته السابقة، وهو رجل غشوم وسماع وليس له استقامة حال، ولا هو قدر ولاية ومع أن رسائلنا إليه كلها كانت بالملاطفة فإنه باق على حقده وعداوته وتشبثه بأملاكنا.

وذكر أن الكويت أنشأها جده صباح منذ ثلاثمائة سنة أي منذ عام ١٠١٧هـ وما لأحد فيها مدخل غير آل الصباح، ولا لأحد تمسك بها ولا دليل له على ذلك (الوثيقة رقم ١٥).

والجدير بالذكر، أن حمدي باشا كان واليا على البصرة حينما تولى الشيخ مبارك زمام السلطة في الكويت، وقد أراد ذلك الوالي أن يستغل أحداث مايو عام ١٨٩٦ في الكويت ليفرض سلطة الدولة العثمانية عليها. وقد استطاع الشيخ مبارك بنفوذه وصلاته السياسية مع أصحاب القرار في الآستانة أن يطيح بحمدي باشا ويبعده عن ولاية البصرة.

ولما علمت الآستانة في يناير سنة ١٨٩٩ بأخبار الاتفاقية السرية بين الشيخ مبارك وإنكلترا، وتوقعت أن يكون ذلك بداية مرحلة من التوسع الإنكليزي في حوض الخليج العربي، قرر السلطان عبدالحميد الثاني وأعوانه المقربون تغيير سياستهم تجاه الكويت بهدف تعزيز النفوذ العثماني فيها، ومن ثم أعادوا حمدي باشا مرة ثانية إلى ولاية البصرة لما عرف عنه من رغبة في تنفيذ تلك السياسة.

---

[1] - **في خطاب الشيخ مبارك يبين فيه حدود الكويت يذكر فيه ان تاريخ نزول الصباح في الكويت هو ١٠٢٢ هجرية، أي ١٦١٣ ميلادية. والتاريخان متقاربان.**

[2] - **هكذا وردت في الأصل .**

وكان من أول أعمال حمدي باشا بعد عودته إلى الولاية أن قام بإبعاد من له علاقة بالشيخ مبارك من أعيان البصرة، وأمر بتغيير موظفي البريد والتلغراف الذين كانوا يطلعون مبارك والإنكليز على البريد والتقارير المتبادلة بين الوالي والباب العالي.

وبدأ في تشجيع الباب العالي على اتخاذ تدبيرات حاسمة تجاه الشيخ مبارك مدعيا أن ضم هذه الإمارة إلى الامبراطورية العثمانية سيعود على خزينة الدولة بمبلغ إضافي يقدر بأكثر من خمسين ألف ليرة سنويا، وكان من التدبيرات التي قررها حمدي باشا إرسال رئيس ميناء البصرة ليكون مسؤولا عن ميناء الكويت وهو الذي كان من أمره مع الشيخ مبارك ما كان بحسب ما فصلناه أعلاه.

وقد بدأ الشيخ مبارك حملة جديدة لدفع أذى حمدي باشا، ولم تقف تلك الحملة عند الشكوى التي بعث بها إلى المقيم السياسي البريطاني ليحيطه علما بما حصل بل كانت له وسائله الخاصة في تأليب أصحاب القرار في الآستانة على حمدي باشا، وقد أسفرت تلك الحملة عن إقالة حمدي باشا من منصب والي البصرة وإحلال محسن باشا - صديق الشيخ مبارك - محله. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل حصل الشيخ مبارك على اعتراف من الباب العالي باستقلاله التام عن ولايتي البصرة وبغداد. فذكر المندوب الإخباري علي بن غلوم في رسالته المؤرخة في ٢٦ نوفمبر ١٨٩٩ أن الشيخ مبارك قد تسلم تلغرافا من الباب العالي في الآستانة يفيد أن اتصالاته ينبغي أن تكون مباشرة مع الباب العالي وألا يكون ذلك من خلال والي البصرة أو بغداد. وهذا الأمر يجعل وضع الكويت (في نظر الدولة العثمانية) أشبه ما يكون بوضع مصر وهو اعتراف بكيان سياسي مستقل لا تربطه بولايات العراق العثماني رابطة.

ثم تتابعت الأحداث بين الطرفين، فالدولة العثمانية كانت تسعى بالترغيب أو الترهيب إلى السيطرة على الكويت، والشيخ مبارك كان دائما في وضع الحاكم الذي يعمل على المحافظة على استقلال بلده ويرفض أي تدخل من الدولة العثمانية.

صدر فرمان من الباب العالي يمنح بموجبه الشيخ مبارك لقب باشا ميرميران مع وسام ومرتب سنوي، وسوف يصل الوسام في ١٠ مايو ١٩٠٠، وحتى ١ يونيو من العام المذكور لم يصل شيء من ذلك (٢ مايو، ١ يونيو ١٩٠٠).

- ابرق الباب العالي إلى والي البصرة للتوسط بين الشيخ مبارك وابن رشيد، لإتمام الصلح بينهما (١٩ نوفمبر ١٩٠٠)، وكان سبب ذلك أن ابن رشيد بعث إلى الباب العالي يشكو الشيخ مبارك ويطلب تدخل الدولة العثمانية، وقد عقد لقاء في منطقة الرافضية قرب الزبير بين الشيخ مبارك ووالي البصرة وسيد أحمد النقيب وبعض أعيان البصرة أكد فيه الشيخ مبارك أنه لا علاقة له بمحاربة ابن رشيد، وأبرق إلى الباب العالي منكرا ما نسب إليه. وقد جاء رد من الباب العالي بإكرام الشيخ مبارك ومنحه أربعة أوسمة (نياشين). وحينما وصل الشيخ مبارك إلى الكويت بعد مغادرته البصرة لم تكن عليه خلعة الباب العالي ولا الأوسمة التي أعطيت له (٢٥ نوفمبر ١٩٠٠).

- في ٢٢ فبراير ١٩٠١ وصل إلى الكويت من البصرة عبدالعزيز بن سالم البدر وكيل الشيخ مبارك في البصرة ومعه صورة تلغراف من الباب العالي يطلب فيها من الشيخ مبارك أن يصطلح مع عبدالعزيز ابن رشيد، ولما كان الشيخ مبارك خارج الكويت فقد قرئ التلغراف على نائبه الشيخ جابر المبارك الذي قال: فات أوان الصلح الآن ولا نقبل ذلك مع ابن رشيد (٢٦ فبراير، ٣ مارس ١٩٠١).
وصل رؤوف بيك وهو مبعوث عسكري من والي البصرة محسن باشا إلى الشيخ مبارك للتأكد من سلامته بعد عودته من موقعة الصريف، وكان وصوله الكويت في ٢ أبريل ١٩٠١ (٨ أبريل ١٩٠١).
- ورد خطاب من كل من مشير بغداد ووالي البصرة محسن باشا يرغبان فيه زيارة الكويت بناء على أمر من الباب العالي. غير أن المرض المنتشر في البصرة يمنعهم من ذلك (٥ مايو ١٩٠١).
- والي البصرة محسن باشا ينوي زيارة الكويت في ١٦ مايو ١٩٠١ ويرافق الوالي خمسة أشخاص، وقد طلب الشيخ مبارك من القبطان البريطاني إبلاغ الوالي ألا تزيد إقامته على ثلاثة أيام (١٢ مايو ١٩٠١).
- وصل محسن باشا والي البصرة في ١٨ مايو ١٩٠١ واستقبله الشيخ جابر بن مبارك في الجهراء ومعه أربعمائة خيال (فارس) وكان قصد الشيخ مبارك أن يعرف الوالي قدر الشيخ مبارك ومنزلته، وقد أقام بمنزل الشيخ مبارك لمدة يومين وكان معه عبدالعزيز سالم البدر وكيل الشيخ مبارك في البصرة، ونحو سبعين عسكريا عثمانيا. وقد نزل القبطان الإنكليزي من مركبه كالعادة وزار الشيخ مبارك بحضور والي البصرة وتبادلا الأحاديث الودية، وبعد ساعة غادر المجلس (٢١ مايو ١٩٠١).

لا استجابة :

وقد تحاور الوالي مع الشيخ مبارك في جلستهما الخاصة كثيرا، عاتبا عليه ميله إلى الإنكليز، وكان الوالي يريد أن يأخذ بخاطر الشيخ مبارك ويعرف رغباته لتنفيذها. ولم يجد الوالي من الشيخ مبارك الاستجابة المرجوة.

فقد أثار الوالي مسألة تردد المراكب الحربية البريطانية على ميناء الكويت، فقال له الشيخ مبارك : إن هذا أمر غير مستنكر، فقد كانت لنا صداقة معهم منذ زمان أجدادنا ونحن نقدر لهم ذلك. وقد تساءل عما إذا كان لدى الكويت رغبة في التحالف مع الإنكليز، فأجابه الشيخ جابر - وكان حاضرا - بالإيجاب، وقال : إننا لم نر منهم سوى المناصرة والحمية، أما دولة الترك فلم نر منها سوى الأذى والمشقة. وبالأمس قام كل من مشير بغداد وكاظم باشا ومحمد باشا بحشد العساكر لغزو بلادنا برا وبحرا، دون وجه حق، ومع ذلك فنحن بفضل الله أقوياء وقادرون على

المحافظة على بلادنا ورعايانا، وقد حاول الوالي أن يلطف من حدة الحديث بقوله: إنني صديقكم ومحبكم، ثم استفسر عن إمكانية الموافقة على تعيين مجموعة من العساكر العثمانية ليكونوا في خدمة البلد، وأن يصدر فرمان منصب من الباب العالي للشيخ مبارك الصباح، فأجابه الأخير بأننا لسنا في حاجة إلى عساكركم ولا إلى فرمانكم (٧ يونيو ١٩٠١).
وفي اليوم الثالث غادر عساكر الوالي الكويت عن طريق البر إلى البصرة، أما الوالي ومعه الشيخ مبارك ومائة شخص من رجاله فقد سافروا عن طريق البحر حيث ودعه الشيخ مبارك عند الفاو (٢٤ مايو ١٩٠١).

زحاف في الكويت :

وصل المركب التركي (زحاف) في ٢٤ أغسطس ١٩٠١ إلى الكويت، حيث قابل القبطان الشيخ مبارك الصباح ومعه الشيخ جابر المبارك على انفراد، وذكر لهما أن قبطان المركب (المنور) الإنكليزي أبلغنا بمنع أي عسكري تركي ينزل بلد الكويت، وأننا سنعاقب إذا ما حدث ذلك لأن الشيخ مبارك في حمايتنا، فهل أنت راض عن هذا الكلام وأنت رجل مسلم تشمت بنا الكفار؟ فقال له الشيخ مبارك: نعم أنا راض عما يقولون، وأنا بريء منكم، فأنتم أهل الرشاوى وليس لكم حق عندي. ونحن نقدر لبريطانيا حمايتها لنا وعنايتها ببلادنا. فقال له قبطان (زحاف): إذن صار مؤكدا تبعيتك لبريطانيا وميلك إلى دولة الإنكليز، وسوف أغادر الآن إلى قطر ولن أمكث عندكم. فقال له الشيخ مبارك البحر واسع إن شئت أن تذهب أو أن تبقى، لكن إذا صدر منكم أي اعتداء علينا فسوف نطلب من المركب البريطاني أن يخرجكم من عندنا. فقال له قبطان زحاف: إذن سوف أذهب إلى الفاو، وأبعث بتلغراف إلى المشير ليبعث إليكم بعسكر من البر والبحر لمعاقبتكم ولن تفيدكم بريطانيا، فطرده الشيخ مبارك والشيخ جابر من المجلس بقولهما "قم ولا تفاخر علينا بدولتكم فنحن نعلم أنه ليست لكم قدرة على دولة الإنكليز". وقد غادر القبطان الكويت في طريقه إلى الفاو. وتم إبلاغ قبطان المركب البريطاني بما حدث، حيث أكد عزمه على التصدي لأي اعتداء على الكويت (٢٤ أغسطس ١٩٠١).
بعد مغادرة مركب (زحاف) من الكويت إلى الفاو، والقبطان غاضب على الشيخ مبارك لم تبد أي مبادرة من جانب العثمانيين، لكن الناس تناقلوا أخبارا عن تجميع عساكر الترك في منطقة السماوة تمهيدا لغزو الكويت. غير أن هذه الأخبار لم تثبت صحتها. والشيخ مبارك كان متيقنا من حماية بريطانيا له من الدولة العثمانية (٢ سبتمبر ١٩٠١).

أمير المنتفك :

استمالت الدولة العثمانية الشيخ سعدون أمير المنتفك، فقد استدعاه المشير ووالي البصرة وقدموا له خلعة وجعلوا له راتبا خمسين ليرة وأكرموه غاية الإكرام، وطلبوا منه حماية جميع نواحي العراق، وقد قبل منهم ذلك، لكنه ذكر أن عداوته لابن رشيد وعشائره ستظل قائمة لأنه قد قتل أخاه الشيخ عبدالله (٢ سبتمبر ١٩٠١). (وربما كان هذا التوجه من الدولة العثمانية رغبة في تحييد الشيخ سعدون الذي كان صديقا للشيخ مبارك الصباح).

- كتب مشير البصرة رسالة إلى الشيخ مبارك يذكر فيها أن الباب العالي طلب جمع مساعدة من أهل البصرة ومن غيرها نحو خمسة عشر ألف ليرة. وذكر أنه يريد قرضا مقداره ثلاثة آلاف ليرة يتم تسديدها من ضريبة الفاو في السنة الجديدة. فرد عليه الشيخ مبارك بأنه لن يقدم الضريبة قبل أوانها (١٢ أكتوبر ١٩٠١).
- في ٧ نوفمبر ١٩٠١ وصل رجب النقيب ومعه عدد من الرجال إلى الكويت عن طريق البحر، وزار الشيخ مبارك في اليوم الثاني حيث التقاه في جلسة سرية. وقال السيد رجب للشيخ مبارك إنني جئت من البصرة لأقدم لكم النصيحة، فأنت رجل مسلم وكيف تقبل نفسك بأن تصير في حماية الإنكليز ولا تقبل حماية الترك المسلمين؟ وأن دولة الإنكليز لن تحميك من دولة الترك. فرد عليه الشيخ مبارك بأنني قد جعلت نفسي ورعاياي وجميع عشائري في حماية الدولة الإنكليزية، ولست خائفا من الدولة العثمانية ولا من غيرها. والكويت هي بلد آبائي وأجدادي من قديم وليس للعثمانيين حق فيها. بل نحن لنا الحق عليهم فقد استرجعنا لهم القطيف وبلد الأحساء بالسيف، ولم يكن رئيسنا من دولة الترك. ومع هذه الخدمات تقوم الدولة العثمانية بمساعدة ابن رشيد علينا، ويريد مشير بغداد غزو بلدنا بعسكره.. هل هذا تصرف دولة الترك المسلمين؟ إنني متمسك بالحماية البريطانية، ولن أقبل من الدولة العثمانية شيئا. وحينما سمع رجب النقيب مقالة الشيخ مبارك علم أن نصيحته لا فائدة منها فسكت وعاد إلى البصرة (١٠ نوفمبر ١٩٠١).

ورد تلغراف من الباب العالي إلى والي البصرة ليطلب من الشيخ مبارك أن يحضر إلى اسطنبول لتعيينه عضوا في مجلس (الدولة)، وأنه بناء على ذلك ينبغي أن يترك الكويت ويسكن في اسطنبول، وإن لم ينفذ ذلك فسوف يتم إرسال جيش عن طريق البر والبحر ويتم إخراجه بالقوة. وقد بعث عبدالعزيز سالم البدر صورة هذا التلغراف (التيل) إلى الشيخ مبارك الذي بادر فورا بإخبار قبطان المركب البريطاني (ريت بريس) الموجود في المياه الكويتية، وبعد ساعات وصلت السفينة سفنكس حيث ذهب إليها الشيخ جابر وأخبر قائدها بطلبات الدولة العثمانية من الشيخ مبارك وأنه في ٢ ديسمبر ١٩٠١ سوف يأتي إلى الكويت السيد رجب النقيب بنفسه ومعه تلغراف الباب العالي. وطلب الشيخ جابر عن أمر أبيه ردا محددا من بريطانيا، وهو

التفعيل الفوري لاتفاقية الحماية المعقودة بين بريطانيا والكويت في يناير ١٨٩٩ أما إذا أرادت بريطانيا أن تتخلى عنا في هذا الوقت فإننا نريد معرفة ذلك لكي نتصرف مع دولة الترك (١/١٢/١٩٠١).

في ٥ ديسمبر ١٩٠١ وصل خطاب رسمي من المقيم السياسي في بوشهر إلى الشيخ مبارك يؤكد فيه حقه في الحماية البريطانية، وقد سر الشيخ مبارك كثيرا لما جاء فيه، وفي اليوم الثاني جمع جميع تجار البلد في مجلسه وقرأ عليهم ما جاء في الخطاب المذكور، وأن الكويت قد أصبحت تحت الحماية البريطانية، فقالوا جميعا إننا في طاعتك ولا نخالف ما تقول وقاموا مسرورين من عنده. ومنذ مغادرة رجب النقيب ومعه أخو الوالي الكويت في مركب (زحاف) لم تصلنا أي أخبار جديدة (١٥/١٢/١٩٠١).

خيام في بوبيان :

في ١٤ فبراير ١٩٠٢ أقام الترك خمس خيام لعساكرهم في جزيرة بوبيان وقد تم إبلاغ الإنكليز بذلك حيث أرسلوا إليهم المنور سفنكس الذي أبحر إلى بوبيان في ١٥ من الشهر المذكور ليستكشف هذا الأمر وليعرف سبب إقامتهم في هذا المكان الذي هو تابع للكويت، وفي الوقت نفسه أرسل الشيخ مبارك مجموعة من الخيل عن طريق البر إلى بوبيان ليستخدمها قبطان سفنكس في نزوله وركوبه (١٦ فبراير ١٩٠١).

- وفي ١٦ فبراير ١٩٠٢ جاء إلى الكويت محمود بيك من البصرة ومعه ١٢ عسكريا تركيا، وقد وصلوا عن طريق الجهراء. وتفيد الأخبار أن الغرض من مجيئه هو أنه يحمل رسالة من الباب العالي في اسطنبول فيها شيء من الملاطفة والترغيب للدولة العثمانية. ويذكر الوكيل الإخباري أن من المعلوم أن الشيخ مبارك لن يغير موقفه من تلك الدولة ولن يتصرف دون مراجعة بريطانيا.
- يتحدث التقرير المؤرخ في ٢٠ نوفمبر ١٩٠٢ عن المضايقات التي تتعرض لها أملاك الشيخ مبارك من بساتين النخيل في منطقة الفاو والمتاعب التي واجهها أتباعه من الفلاحين من قبل السلطات العثمانية، وقد تسبب ذلك في خسارة مقدارها ٢٠٠٠ ليرة عثمانية. ويذكر الشيخ مبارك أن ما حدث كان بتحريض من يوسف الإبراهيم، ويطلب من الحكومة البريطانية أن تقوم بواجبها لحماية مصالحه.

إغفال أحداث :

ويلاحظ على هذه التقارير أن علي بن غلوم قد أغفل عددا من الأحداث ولعل أهمها محاولة الدولة العثمانية احتلال الكويت بعد هزيمة الشيخ مبارك في موقعة الصريف وقد بدأ ذلك بوصول رؤوف بيك، وهو مبعوث عسكري تركي إلى الكويت في ٢ أبريل ١٩٠١، بغرض التأكد من سلامة الشيخ مبارك بعد أن أشيع نبأ مقتله في موقعة الصريف. وقد أشار بونداريفسكي إلى وصول هذا المبعوث الذي حددت المصادر الروسية وقت وصوله في ٣١ مارس ١٩٠١ (وخبر علي بن غلوم يصحح ذلك). وقد ذكر ذلك المبعوث وهو ياور الوالي محسن باشا أنه لم يتمكن من معرفة الموقف في المدينة، لأن مباركا لم يسمح له بالبقاء فيها فعاد أدراجه.

وفي الأيام الأولى من شهر أبريل ١٩٠١ وافق السلطان عبدالحميد على خطة المشير أحمد فوزي باشا التي تهدف إلى استغلال ضعف مبارك ووجود قوات ابن رشيد على مقربة من حدود الكويت من أجل توجيه ضربة حاسمة إلى الكويت تقوم بها وحدات الفوج السادس، وفي نهاية أبريل كان قد احتشد في البصرة ٢٣٠٠ جندي من القوات التركية النظامية، ونقلت عشرات المدافع الراجمة الحديثة من الآستانة إلى البصرة عبر البحر، كما وصل اللواء محمد باشا الداغستاني إلى البصرة، وهو الذي أنيط به القيام بمهمة احتلال الكويت.

إن هذه الأحداث رغم قربها من الكويت وسهولة التعرف على ما يجري في داخل البصرة من قبل أعوان مبارك وعيونه هناك لكننا لا نجد لها انعكاسا في رسائل علي بن غلوم الذي اجتاز هذه الأحداث ليتكلم عن رغبة مشير بغداد ووالي البصرة محسن باشا بزيارة الكويت (بناء على أمر من الباب العالي) غير أن المرض المنتشر في البصرة يمنعهم من ذلك (٥ مايو ١٩٠١)، ثم تحدث علي بن غلوم عن وصول محسن باشا والي البصرة إلى الكويت في ١٨ مايو ١٩٠١ حيث استقبله الشيخ جابر بن مبارك في الجهراء ومعه أربعمائة فارس، في تظاهرة واضحة لبيان مكانة الشيخ مبارك وقوته. وقد أقام محسن باشا في ضيافة الشيخ مبارك يومين وفي اليوم الثالث غادر الكويت إلى البصرة بعد أن قوبلت بالرفض جميع العروض التي عرضها على الشيخ مبارك ومن بينها صدور فرمان بمنصب للشيخ مبارك من الباب العالي، وترتيب تعيين حامية عثمانية في الكويت، حيث بين له الشيخ مبارك بوضوح أننا لسنا في حاجة إلى عساكركم ولا إلى فرمانكم. وأوضح أن الكويت ترغب في التحالف مع بريطانيا لأنها لم تر من الدولة العثمانية سوى الأذى والمشقة، وأشار إلى الحشود التي حشدتها الدولة العثمانية لغزو الكويت برا وبحرا.

وقد تتابعت بعد ذلك رسائل علي بن غلوم تبين ردود الفعل العثمانية، كان أولها استمالة الدولة العثمانية للشيخ سعدون أمير المنتفك وصديق الشيخ مبارك من أجل تحييده فيما سيحدث مستقبلا، ثم ورود تلغراف من الباب العالي إلى والي البصرة ليطلب من الشيخ مبارك الحضور إلى اسطنبول لتعيينه عضوا في مجلس الدولة،

وأنه إذا لم ينفذ لك سوف يتم إخراجه بالقوة من الكويت، وكان رد فعل الشيخ مبارك هو الطلب من بريطانيا بالتفعيل الفوري لاتفاقية الحماية. وفي ١٤ فبراير ١٩٠٢ تذكر رسائل علي بن غلوم نزول الجيش التركي في جزيرة بوبيان حيث أقيمت خمس خيام للعساكر هناك. كما بدأت السلطات العثمانية في التعرض لأملاك الشيخ مبارك في منطقة الفاو والعمل على مضايقة الفلاحين في بساتين النخيل، مما تسبب في خسائر كبيرة في موارد الشيخ مبارك المالية.

ثالثا - ابن رشيد طمع في الكويت الميناء المزدهر
وسوق الصحراء ومصدر الأغذية والأسلحة

تدور رسائل المندوب الإخباري بالكويت - في معظمها- حول علاقة الشيخ مبارك بعبدالعزيز ابن رشيد أمير حائل. ومن خلالها تكشف الرسائل تلك الصلة القوية التي تربط الشيخ مبارك بآل سعود، كما تكشف عن تفصيلات دقيقة حول بداية تحركهم من الكويت لاستعادة ملكهم في نجد وما قدمه الشيخ مبارك من دعم ومساندة في هذا السبيل، وكذلك عن علاقة الشيخ مبارك بالشيخ سعدون باشا أمير المنتفق. وتقدم الرسائل المذكورة مجموعة من الحقائق والوقائع التي سجلت في يوم حدوثها أو من خلال شهود عيان اخبروا بها المندوب المذكور، ويمكن أن يكون كل ذلك أساسا لعدد من الدراسات التحليلية المعنية بتاريخ شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن العشرين.

ويعود توتر العلاقات بين الكويت وحائل إلى عام ١٨٩٧ نتيجة لاتصالات يوسف الابراهيم مع أمير حائل محمد بن عبدالله آل رشيد يدعوه فيها لنصرته ضد الشيخ مبارك. وقد وجد يوسف الابراهيم استجابة من الأمير محمد إلا إن وفاة الأخير في ذلك العام حالت دون ذهابه إليه، وثمة عامل آخر في توتر العلاقات مبعثه لجوء عبدالرحمن بن فيصل آل سعود وأسرته إلى الكويت بعد استيلاء آل رشيد على الرياض، ويضاف إلى ذلك طمع آل رشيد في الكويت، ذلك الميناء التجاري المزدهر، الذي يعتبر سوق الصحراء ومصدر الأغذية والأسلحة. كما كان لتشجيع الدولة العثمانية بن رشيد أثره أيضا في تأزيم العلاقات، وبخاصة في تلك الفترات التي تسوء فيها علاقة الشيخ مبارك بالدولة العثمانية.

متى بدأ الصراع؟

ولا يعرف على وجه التحديد متى بدأ الصراع بين الشيخ مبارك وابن رشيد، غير ان رسائل المندوب الإخباري علي بن غلوم تشير إلى ان بداية ذلك كانت عبارة عن مجموعة من المواجهات بين عبدالعزيز ابن رشيد وحليف الشيخ مبارك في تلك الآونة الشيخ سعدون باشا المنصور رئيس قبائل المنتفق التي كانت تبسط نفوذها على قسم كبير من جنوب العراق.

وتبين الرسائل المؤرخة في شهري أكتوبر ونوفمبر من عام ١٨٩٩ اشتداد الصراع بين الشيخ سعدون وعبدالعزيز ابن رشيد، وتذكر الرسالة المؤرخة في ٢٥ نوفمبر من ذلك العام ان الشيخ سعدون قد وصل إلى أطراف حائل وقام بمحاصرة

عربان ابن رشيد وجرى قتال عنيف بينهما، وفي الرسالة التالية المؤرخة في ٢٧ نوفمبر ١٨٩٩ يذكر علي بن غلوم ان هناك اتفاقا سريا بين الشيخ مبارك والشيخ سعدون للعمل معا ضد ابن رشيد، وان الشيخ مبارك أرسل ألف رجل من عربانه لمساعدة الشيخ سعدون، وان الانتصارات اليومية للشيخ سعدون سببها دعم الشيخ مبارك له، حيث يوافى بالبشرى بعد كل انتصار.

وهذا الدعم غير المباشر لسعدون ضد ابن رشيد لم يخف على كثير من المراقبين ولا على ابن رشيد نفسه، ومع ذلك فقد كان التواصل موجودا بين الشيخ مبارك وعبدالعزيز بن رشيد ففي العاشر من نوفمبر ١٨٩٩ وصل مبعوث من عبدالعزيز ابن رشيد إلى الشيخ مبارك يطلب إليه ان يبعث إليه بطبيب لعلاجه، وقد اعتذر الأخير بعدم وجود طبيب حاذق ليبعثه إليه. وبغض النظر عن مدى صحة هذه الرواية التي بعث بها علي بن غلوم في ١٢ نوفمبر إلى المقيم السياسي البريطاني فان الأمر لا يخلو من اتصال حول موضوع ما بين الطرفين.

وابتداء من شهر مارس ١٩٠٠ بدأت الأمور تتعقد بشكل مباشر بين الشيخ مبارك وابن رشيد. ففي ١٧ مارس ١٩٠٠ لجأ إلى الكويت اثنان من أبناء حسن المهنا وثلاثة من أبناء عمهم، وهم من أمراء عنيزة([1])، بعد أن هربوا من سجن عبدالعزيز بن رشيد وقد دخلوا في حماية الشيخ مبارك. ومع ان علي بن غلوم قد ذكر ان عبدالعزيز بن رشيد لم يكن على علم بوصولهم إلى الكويت إلا ان ذلك لم يكن خافيا عليه إلى الأبد.

وفي ٢٨ ابريل ١٩٠٠ جاء رجل من حائل إلى الشيخ مبارك الصباح واخبره ان يوسف بن إبراهيم وصل إلى حائل وهو مقيم عند عبدالعزيز بن رشيد. وفي أواخر شهر يوليو ١٩٠٠ وصل إلى الكويت كل من احمد النقيب وعبدالعزيز بن سالم البدر وكيل الشيخ مبارك في البصرة. وكان السبب في مجيئهما انه مع وصول حجاج الكويت اخبروا الشيخ مبارك ان يوسف بن إبراهيم ومعه أولاد الشيخ محمد قد لجأوا إلى الأمير عبدالعزيز بن رشيد لينصرهم عليك، وان ابن رشيد قد كتب إلى الباب العالي رسالة ومعها عشرة رؤوس من الخيل وأرسلها مع رجاله على طريق جدة، وقد ضمن الرسالة طلبه من الباب العالي أن يأخذ بحق أولاد محمد بن صباح من الشيخ مبارك أو يعطي الموافقة ليقوم هو بهذا الأمر. وحين وصول هذا الخبر إلى الشيخ مبارك ابرق إلى الباب العالي مبينا مغبة وجود يوسف الابراهيم عند ابن رشيد وما سيسببه ذلك من مشكلات، وقد وصلت برقية الشيخ مبارك قبل وصول رسالة ابن رشيد وهداياه إلى الباب العالي، الذي ابرق إلى السيد احمد النقيب، طالبا منه فور وصول التلغراف الذهاب إلى الكويت عند الشيخ مبارك الصباح وكتابة رسالة نيابة عن الباب العالي إلى الأمير عبدالعزيز بن رشيد بأنه حين وصول كتابنا إليك ينبغي ان تخرج يوسف بن إبراهيم ومن معه من عندك، وإذا ألجأهم احد عنده فان عقوبة الله عليه.

---

[1] - **الصحيح هم من أمراء بريدة (المنسق) .**

وينص الوكيل الإخباري على ان الأمر الأهم في إثارة العداوة بين الطرفين هو تحرك عبدالرحمن الفيصل من الكويت في ١٨ أغسطس عام ١٩٠٠ قاصدا نجد بعد ان جاءته رسائل من جماعته المقيمين في نجد تطلب إليه العودة وإنهم سيحمونه من آل رشيد. ويذكر الوكيل الإخباري أن تشجيع مبارك ودعمه الكبير لعبدالرحمن الفيصل قد جعل العداوة بين مبارك وآل رشيد ظاهرة بعد أن كانت باطنة.

وتتابعت تقارير الوكيل الإخباري عن انتصارات عبدالرحمن الفيصل وطلب الأخير المدد من الشيخ مبارك. وفي ٢٣ سبتمبر ١٩٠٠ وصلت إلى الشيخ مبارك رسالة من الأمير عبدالعزيز بن رشيد يقول: فيها أننا علمنا بخروج عبدالرحمن الفيصل من الكويت بعسكره وأخذه أهل البادية من جماعتنا، وكان هذا بتدبيرك، وسوف أسير إليه فورا بعسكري، وبعد ذلك ستعلم ماذا سيكون بيننا وبينكم. وكانت هذه الرسالة بمثابة إعلان حرب على الكويت. فحينما اطلع الشيخ مبارك على رسالة ابن رشيد أمر فورا بالاستعداد وتجميع الجيش، حيث احتشد له عسكر كثير من حاضرة الكويت ومن أهل البادية.

وفي ٢٨ أكتوبر ١٩٠٠ وصل عبدالعزيز بن رشيد مع جيشه إلى منطقة الخميسية في العراق، مفضلا ان يكون صدامه الأول مع سعدون ليحمي خطوط مواصلات مراكز تموينه في العراق بعد ان ساءت العلاقات بين الكويت وحائل. وقد اشتبك ابن رشيد مع جيش سعدون على مدى يومين، وكان القتلى من الطرفين، وفي اليوم الثالث سار ابن رشيد بعسكره قاصدا بلد السماوة يريد الاكتيال لعسكره.

ثم سارت الأمور على النحو التالي وفقا لتقارير علي بن غلوم:

- في ٣٠ أكتوبر ١٩٠٠ أرسل الشيخ سعدون رسولا إلى الشيخ مبارك بما جرى بينه وبين ابن رشيد. وحالما وصلت الرسالة تحرك الشيخ مبارك بعسكره من الجهرة في ٢ من نوفمبر قاصدا الشيخ سعدون. وفي ١٠ من نوفمبر وصل بعسكره إليه، وفي ١٢ نوفمبر سار الاثنان بعسكريهما قاصدين محاربة ابن رشيد عند السماوة.
- في ١٤ من نوفمبر جاء تلغراف من الباب العالي إلى والي البصرة يطلب الصلح ما بين مبارك وابن رشيد وان يتوقفا عن محاربة احدهما الآخر، فكتب الوالي كتابا إلى الشيخ مبارك وهو في مكانه في الصحراء (البر) مع عسكره يطلب منه ضرورة لقائه في الزبير هو وسيد احمد النقيب وبعض الأشخاص وبين له ان المقصود هو أن يتم الصلح بينه وبين ابن رشيد بموجب تلغراف من الباب العالي. ولما وصل الكتاب إلى الشيخ مبارك لم يعره أي اهتمام، بل حرك عسكره فورا هو والشيخ سعدون وحمود الصباح قاصدين ابن رشيد في السماوة لحربه ولمنعه من الاكتيال. وفي ١٦ من شهر نوفمبر مشى جميع عسكر الشيخ مبارك قاصدين ابن رشيد. وكتب الشيخ مبارك إلى الوالي بأنني لن أقابلكم في الزبير بل أريد لقاءكم في سفوان بين الزبير والجهرة. وبقي الشيخ مبارك مع بعض عسكره مقابل بلد الخميسية يمنع الطريق لكي لا يرسل احد علفا إلى ابن رشيد، ولكي يكشف أخبار الوالي.

في الزبير والبصرة :

- وكان عدد عسكر الشيخ مبارك الصباح نحو خمسة عشر ألف خيال ونحو أربعين ألف ركايب ذلول (جمال). وعسكر الشيخ سعدون نحو خمسة آلاف خيال ونحو عشرين ألف ركايب ذلول. أما عسكر عبدالعزيز بن رشيد فيقدر بألفي خيال ونحو عشرة آلاف ركايب ذلول، وهذا كل ما عنده من العسكر، والسبب ان أكثر عسكر ابن رشيد من البادية خانوه ولم يغزوا معه.
- في ٢٠ نوفمبر وصل خطاب من الشيخ مبارك إلى ولده الشيخ جابر مضمونه ان الوالي وسيد احمد النقيب وبعض أعيان البصرة جاؤوا جميعا إلى مكان يقال له الرافضية قرب الزبير بنحو ساعتين، وقد أرسلوا علينا لنحضر عندهم، وقد أجبناهم وذهبنا إليهم في الرافضية، فقال لي الوالي ان ابن رشيد قدم شكوى إلى الباب العالي يرجو فيها منع الشيخ مبارك عنا، وذكر الوالي انه قد وصله تلغراف (تيل) من الباب العالي لكي نصلح بينكما. فقال الشيخ مبارك ان محاربة ابن رشيد ليست من شأني وأنا الآن موجود بينكم، فالذين يقصدون حربه هم عبدالرحمن بن فيصل الذي يطالب بملك أبيه والثاني الشيخ سعدون. قال الوالي: صدقت فيما قلت، ونرجو من جنابكم تشرفنا بالحضور إلى البصرة وتبعث بنفسك بتلغراف إلى الباب العالي يتضمن قولك هذا. وقد وافق الشيخ مبارك على ذلك ومشى الجميع أولا إلى الزبير حيث أقاموا فيها يوما مع الوالي. وقد حضر جميع أكابر الزبير إلى الشيخ مبارك وقبلوا يده، ثم مشى الجميع إلى البصرة، حيث قام الشيخ مبارك بنفسه بإرسال التلغراف إلى الباب العالي بموجب ما تم الاتفاق عليه. وقد جاء رد من الباب العالي إلى الوالي بان يتم إكرام الشيخ مبارك غاية الإكرام وان يمنح أربعة نياشين (أوسمة)، وأمر الوالي عسكر الحكومة (العثمانية) ان يعزفوا موسيقى خلال اليومين اللذين قضاهما مبارك في البصرة.

وبخصوص عسكر الشيخ مبارك، فقد ساروا مع حمود الصباح وولده سالم وولد أخيه خليفة وولد أخيه صباح بن حمود وجابر بن فاضل وعبدالرحمن بن فيصل والشيخ سعدون، كلهم قاصدين حرب ابن رشيد، وهم غير مبالين برغبات الدولة العثمانية.

في السماوة :

- وفي ٢٢ نوفمبر جاء كتاب من حمود الصباح إلى أخيه مبارك الصباح في الجهرة قبل وصوله إلى الكويت ومضمون الكتاب انهم قد وصلوا إلى قريب السماوة، ولم يروا اثر لابن رشيد في المكان الذي ينزل فيه، وانه انهزم قاصدا بلاده، واننا ننتظر أمركم. فكتب إليه الشيخ مبارك انه حينما يصلك كتابي تحرك بعسكرك نحو ابن رشيد وعربانه أنت والشيخ سعدون وعبدالرحمن بن فيصل من الضروري متابعته، وسوف أسير إليكم بعد عشرة أيام.
- وفي ٢٤ نوفمبر وصل الشيخ مبارك إلى مدينة الكويت ومعه خمسون خيالا، وحينما دخل البلد لم يكن عليه خلعة الباب العالي ولا الأوسمة، وليس عليه سوى لباسه المعتاد.
- في ٢١ فبراير ١٩٠١ استكمل الشيخ مبارك جمع عشائره ثم سار ومعه عبدالرحمن بن فيصل وخيم على مسافة يوم من نجد (القصيم)، وفي اليوم الثاني جاء أكابر أهل عنيزة وأكابر أهل القصيم إلى الشيخ مبارك وبايعوه وسلموا الأمر إليه من غير دعوى، وقد أكرمهم الشيخ مبارك غاية الإكرام. ولم يبق عاصيا من بلدان نجد سوى بلد الرياض الذي هو عين نجد، فمازال رجال ابن رشيد محافظين عليه. وعزم مبارك الصباح المسير إلى هناك، وإذا فتح الشيخ مبارك بلد الرياض يكون قد فتح بلدان نجد جميعا، ويقدر العسكر الذين مع الشيخ مبارك بنحو سبعين ألفا.
- في ١٧ فبراير وصل الشيخ سعدون إلى الشيخ مبارك ومعه عشائره التي تقدر بنحو عشرة آلاف شخص. والى هذا الوقت لم يعرف مكان عبدالعزيز بن رشيد فمرة يقولون انه في العيينة ومرة أخرى انه فيما بين مشهد علي والسماوة يكتال أعلافا لعساكره.
- في ٣٠ يناير ١٩٠٠ كتب عبدالعزيز بن رشيد رسالة إلى ابن ثاني حاكم قطر يطلب منه المجيء للمساعدة على حرب الشيخ مبارك وقد تم القبض على الأشخاص الثلاثة الذين كانوا يحملون الرسالة المذكورة إلى ابن ثاني وأحضروهم إلى الشيخ مبارك حيث اخذ الرسالة منهم وقرأها واطلع على أحوال ابن رشيد وأفعاله. وقد أمر بحبس رجال ابن رشيد ثم أرسلهم بعد ذلك إلى ولده الشيخ جابر في الكويت مع الرسالة المكتوبة إلى ابن ثاني.
- بخصوص الكويت ونواحيها يبذل الشيخ جابر جهدا كبيرا في المحافظة على البلد، ففي كل ليلة يطوف بنواحي البلد نحو أربعة آلاف نفر مسلحين احتياطا من الأعداء.
- في ١٨ فبراير ١٩٠٠ جاء خبر من الشيخ مبارك إلى ولده الشيخ جابر بان أولاد حمود الذين هم أولاد عم عبدالعزيز بن رشيد أتوا إلينا يلتمسون الصلح ويعتذرون إلينا من أفعال عبدالعزيز بن رشيد، وانهم مختلفون معه، وانهم غير راضين عن عمله، ولهذا فنحن نخلعه من الإمارة وجئنا إليكم وتحت طاعتكم في كل ما تقول، فأنت اليوم أميرنا، ونرفض عبدالعزيز ابن رشيد الذي لا يسمع النصيحة ولا

يرجع لنا في مشورة، بخاصة واننا أولاد عمه، وكانت المشيخة (الإمارة) لنا بعد محمد بن رشيد لكننا من تلقاء أنفسنا سامحنا. وليس مقبولا للرئاسة ذلك الذي يريد ان يثير الفتنة بيننا وبينكم وما يتبع ذلك من قاتل ومقتول. ونحن اليوم في طاعتك فأنت بمثابة الأب لنا ولا نعترف بعبدالعزيز بن رشيد. وقد قبل منهم الشيخ مبارك عذرهم وأكرمهم.

- في ٢٢ فبراير ١٩٠١ وصل الكويت عبدالعزيز سالم البدر، وكيل الشيخ مبارك الصباح في البصرة ومعه صورة تلغراف من الباب العالي يطلب من الشيخ مبارك ان يصطلح مع عبدالعزيز بن رشيد، فقال له الشيخ جابر المبارك لقد فات أوان الصلح الآن، وقد عاد إلى البصرة في ٤ من شهر مارس ١٩٠١.
- في ٢٤ فبراير ، جاء كتاب من الشيخ مبارك إلى ولده الشيخ جابر ذكر فيه ان بلدان نجد جميعها قد أجابتنا من غير حرب، وقد أصبح عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل حاكما على بلد الرياض، وباقي البلاد رتبنا فيها رجالا من طرفنا حكاما عليها. أما بالنسبة لي فانا الآن مخيم مقابل بلد القصيم في انتظار وصول الشيخ سعدون، فبعد وصوله سنسير إلى بلد حائل نقتفي اثر عبدالعزيز بن رشيد. وقد عرفنا الآن اين مقره، فهو بعيد عن بلد حائل مسافة ثلاثة أيام ونفسه نافرة عنا (أي لا يريد المناجزة) فما بقي له من العرب (العشائر) سوى شمر الذين هم عشائره لاغير. وان شاء الله عن قريب سنتصرف ببلد حائل ونكفيكم شره.

ومن طرف أولاد حمود (أولاد عم عبدالعزيز بن رشيد) الذين جاؤوا إلينا وطلبوا الصلح منا لم نجبهم إلى ذلك والسبب انهم لم يوافقوا على الشروط التي نريدها منهم، ولا عاتبناهم بشيء الى الآن.

ولولا الوعد الذي واعدناه الشيخ سعدون وهو ان يأتينا عند القصيم لسرت بنفسي مع عسكري إلى بلد حائل. وكان اتفاقنا معه ان يصل في ٢ من شهر ذي القعدة، وفي اليوم الثاني من وصوله سوف نتحرك نحو بلد حائل وعلى عبدالعزيز بن رشيد. ومن فضل الله ليس عندنا قصور في شيء لا من العسكر ولا من الربيع وهذا من كرم الله علينا، وقد تصرفنا في بلدان نجد دون حرب ومقاتلة تماما. وان شاء الله عن قريب نبشركم في الاستيلاء على حائل والتخلص من عبدالعزيز بن رشيد. (٢٦/٢/١٩٠١).

- في ٨ مارس وصل الشيخ سعدون بكامل عسكره إلى نجد عند الشيخ مبارك. وفي ١٠ مارس تحرك الشيخ مبارك والشيخ سعدون والشيخ عبدالرحمن بن فيصل مع جميع العشائر قاصدين عبدالعزيز بن رشيد، الذي يخيم بعسكره على مسافة يوم من حائل. وكانوا موقنين من النصر لأنه ليس مع ابن رشيد من العشائر سوى عرب شمر، وأكثر العشائر مع الشيخ مبارك، ويقدرون بسبعين ألفا جميعهم في حمايته. وكان قصد الشيخ مبارك ان يزيل حكم ابن رشيد في هذه النواحي ولا يبقي فيها بيرق سوى بيرق الشيخ مبارك.
- وفي هذه السنة امتنع حجاج البصرة والزبير من الحج نتيجة هذه الأحداث، ولأن ابن رشيد لم تكن له قدرة على حمايتهم، وجميع الحجاج سافروا عن طريق البحر.

مبارك عاد من معركة الصريف مع أربعة من رجاله فقط :

في يوم ١٧ مارس ١٩٠١([1]) التقى كل من عبدالعزيز ابن رشيد والشيخ مبارك، ونشبت الحرب بينهما بعد مضي خمس ساعات من النهار في منطقة بين حائل وبريدة، واستمرت الحرب إلى ما قبل الغروب بنصف ساعة، وفي أثناء القتال خانت الشيخ مبارك عشائر عتيبة ومرة وبني هاجر، وساعدوا ابن رشيد، وكذلك أهل نجد خانوه ولم يبق معه إلا أهل الكويت وبعض العشائر. واشتدت الحرب بينهم، وصار قتال شديد بين الطرفين إلى أن دخل الليل على شدة الحرب، ثم تفرق الجيشان دون نظام لا يعلم أحد أين صاحبه. وحينما أصبح الصباح وجد الشيخ مبارك نفسه بمفرده ليس معه سوى أربعة أشخاص([2])، ولا يعلم أين تفرق جماعته، فلما رأى هذا الأمر غادر مكانه قاصدا الكويت خوفا على نفسه.

- وفي ١٣ مارس ١٩٠١ وصل الشيخ مبارك الكويت مع أربعة من رجاله وقد دخل البلد وهو مكسور الخاطر ولا يعلم عن جماعته مقتولين أم سالمين، وجميع أهل الكويت مغمومين الآن لهذا الأمر العجيب. (١ /٤/ ١٩٠١)
- في٣ أبريل /١٩٠١ (١٣ من ذي الحجة)([3]) وصل إلى الكويت الشيخ سعدون مع أبنائه وأبناء أخيه في مائة شخص من جماعته ونحو مائتي شخص من جماعة الشيخ مبارك سالمين. وقبل وصولهم البلد بمسافة ساعتين أمر الشيخ مبارك نحو أربعة آلاف نفر مسلحين من رعاياه لاستقبال الشيخ سعدون ويعرضون (يرقصون العرضة)، أمامه إلى أن دخل البلد، وعند دخوله البلد استقبله الشيخ مبارك مع نحو سبعة آلاف شخص تلقوه يعرضون أمامه. وبعد الشيخ سعدون جاء خبر من سلطان الدويش بأنني مقبل عليكم (على الكويت) ومعي نحو ثلاثمائة نفر من رعاياكم. وكذلك في كل يوم يجيء نحو عشرة أشخاص أو عشرين شخصا من أهل البلد متفرقين سالمين.(٤ /٤/ ١٩٠١).
- قتل في الصريف الشيخ حمود الصباح والشيخ خليفة بن عبدالله الصباح وصباح ولد حمود الصباح وجابر الفاضل ومحمد بن سالم الجراح وسلمان بن حمود

---

[1] - هذا هو التاريخ المسجل في معظم المصادر التي تكلمت عن اليوم الذي وقعت فيه المعركة. وقد ذكر علي بن غلوم في رسالته المؤرخة في ١ ابريل ١٩٠١ ان المعركة حدثت يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ من شهر ذي القعدة، وهذا اليوم لا يوافق الثلاثاء بل السبت. وفي تقريره الذي استقاه من فلاح بن جنهم بتاريخ ٧ ابريل ١٩٠١ يقول ان المعركة وقعت يوم ٢٧ من ذي القعدة الموافق ١٨ مارس وهذا يتفق مع ما أورده عبدالله بن محمد البسام في كتابه: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق تحقيق إبراهيم الخالدي، الكويت ،٢٠٠٠ ص٣٨٤.

[2] - في تقرير لاحق مؤرخ في ٨/٤/١٩٠١ يذكر علي بن غلوم ان الذين بقوا مع الشيخ مبارك مائة شخص لا غير.

[3] - في الرسالة المؤرخة في ٨/٤/١٩٠١ يذكر ان تاريخ وصول الشيخ سعدون وعبدالرحمن الفيصل في ١٥ من ذي الحجة، ويبدو ان الكاتب يقصد عبدالرحمن الفيصل فقط لكونه مر في الرياض قبل رجوعه إلى الكويت.

السلمان ولم يعرف عدد من قتل من أهل الكويت، ففي كل يوم تتوافد فلول الجيش حيث يصل الكويت عشرة أنفار أو خمسة أو أقل من ذلك. (٦ /٨/٤ ١٩٠١).

- سرت إشاعة مضمونها أن عبدالعزيز ابن رشيد([1])، قد قتل في الحرب، وتم تنصيب ماجد بن حمود، وقيل طلال ابن عمه أميرا على حائل. وذكرت الأخبار أيضا أن أربعة من أبناء عم عبدالعزيز ابن رشيد واثنان من أبناء سبهان قد قتلوا في الحرب إضافة إلى نحو ثمانين شخصا من غلمانه ورجاله، هؤلاء هم المعروفون غير عسكره (١، ٨،٦ /٤/ ١٩٠٠).

شهود عيان :

وقد أورد الوكيل الإخباري علي بن غلوم تقريرين لشهود عيان عن معركة الصريف أثبتناهما في مكانهما من رسائل الوكيل المذكور، ويقدم التقريران صورة دقيقة للمعركة، وأن الفريقين قد فقدا الشيء الكثير، ويعزو التقرير الثاني سبب هزيمة جيش مبارك إلى أن عمل أهل الكويت لم يكن منظما وقد أخذهم الزهو بقوتهم وكثرتهم ولم يحسبوا بدقة حسابات الحرب، ومن بينها خيانة بعض القبائل وجانب من أهل نجد الذين خرجوا مع الشيخ مبارك، ويؤكد التقرير أن حضر أهل الكويت هم الذين صمدوا في الحرب إلى الليل وحينما عادوا إلى مخيمهم وجدوه منهوبا.

ما بعد الصريف :

ذكرنا أن الرسالة التي كتبها الوكيل الإخباري في الكويت بتاريخ ٤ أبريل ١٩٠١ تفيد أن الشيخ مبارك أمر نحو أربعة آلاف شخص مسلحين من رعاياه أن يستقبلوا الشيخ سعدون ومن معه قبل وصولهم البلد بمسافة ساعتين، وعند دخوله البلد استقبله الشيخ مبارك مع نحو سبعة آلاف شخص تلقوه يعرضون أمامه.
وقد أراد الشيخ مبارك الصباح من خلال هذه التظاهرة رفع الروح المعنوية لشعبه، وليبين أمام الآخرين أن قدراته القتالية وعزيمته لم تنكسر نتيجة هزيمة الصريف.
ولابد أن الشيخ مبارك كان ينوي الأخذ بالثأر من ابن رشيد لكن نصائح المقيم السياسي البريطاني في الخليج فرضت عليه عدم القيام بشيء من ذلك، وأن يقتصر عمله على حماية حدوده.
ويؤكد ذلك أن ابن رشيد حينما غافل عشائر مبارك ليلا في ٢٢ ديسمبر ١٩٠٢ ووصل إلى مسافة قريبة من الجهراء، ونهب نحو سبعين منزلا من منازل العشائر

---

[1] - **قتل عبدالعزيز ابن رشيد في روضة مهنا في ١٧ من شهر صفر ١٣٢٤هـ (١٢ من ابريل ١٩٠٦).**

التابعة للكويت طلب الشيخ مبارك من المقيم السياسي تعويضا عن تلك الأعمال، وذكر أن مسؤولية ذلك الأمر تقع على عاتق الحكومة البريطانية التي طلبت مني ألا أتجاوز حدودي، ولو لم أحافظ على عهودي مع الحكومة البريطانية لقمت بمطاردة ابن رشيد داخل الصحراء واستعدت ما نهبه من عشائري وحافظت على حقوقهم. وتبين الوثيقة رقم ١٦ جانبا من مراسلات الشيخ مبارك مع المقيم السياسي بهذا الشأن.

وبناء على ما تقدم قام الشيخ مبارك الصباح - بالتنسيق مع كل من الشيخ سعدون والأمير عبدالرحمن الفيصل- بفرض حصار على حائل لمنع وصول الأغذية والسلاح إليها. فبعد أن غادر الشيخ سعدون الكويت إلى العراق انتشرت عشائره في المنطقة الممتدة من الخميسية إلى مشهد قاطعين الطريق على عشائر عبدالعزيز ابن رشيد وقوافل تجارتهم. أما عشائر الشيخ مبارك وأتباع آل سعود فقد انتشروا ما بين الكويت والأحساء لمنع عشائر ابن رشيد من الوصول إلى هناك. وأصبح تجار البصرة والزبير لا يستطيعون المتاجرة مع الكويت خوفا من الشيخ مبارك والشيخ سعدون اللذين قطعا الطريق عليهم. وتواترت رسائل الوكيل الإخباري حول هذا الحصار، والانتصارات التي حققها كل من الشيخ سعدون وآل سعود على عشائر ابن رشيد وقوافله. وكان أكثر من تضرر من هذا الحصار بلاد نجد الذين منعهم ابن رشيد من المسابلة (المتاجرة) مع الكويت والزبير التي كان موقفها في مناصرة يوسف بن إبراهيم وعبدالعزيز ابن رشيد سببا في محاصرتها وقطع المتاجرة معها.

ففي ٥ من شهر يوليو ١٩٠١ جاءت رسائل من أكابر أهل نجد إلى الشيخ مبارك تفيد أنه بعد حربكم لابن رشيد أرسل عماله علينا وأخذ من التجار نقودا كثيرة، كل شخص أربعة آلاف ريال أو عشرة آلاف ريال أو خمسة آلاف ريال. ولم يكتف بذلك بل إنه سوف يأخذ وقت ثمرة التمر نصف المال. ونحن الآن في حال قحط ينقصنا الأرز والقمح والسكر والقهوة وجميع الحاجات، ولا يوجد لنا حل إلا مسابلة الكويت التي منعها ابن رشيد. وليس لنا طريق إلا أن نحاربه على فعله فينا، وقد كتب إليهم الشيخ مبارك بأنني لن أغفل عن مساعدتكم بما يطيب خاطركم. وأننا سنرسل إليكم أولاد عبدالرحمن بن فيصل مع بيرق لمساعدتكم.

وفي ١٦ من شهر يوليو وفد إلى الكويت عن طريق البر العصيمي بن محمد العصيمي، صديق الشيخ مبارك، وهو تاجر يقطن الزبير، وقد أسكنه الشيخ مبارك في منزله وأكرمه غاية الإكرام، وكان مع العصيمي ثلاثة أشخاص من أهل الزبير واثنان من رجاله. وفي اليوم الثاني من وصوله انفرد بالشيخ مبارك وتكلم معه بخصوص أهل الزبير، وطلب من الشيخ مبارك أن يعفو عنهم إكراما له حتى يسابلوا إلى الكويت (يتاجرون معها) (في وجه الله ثم في وجهكم). فقال له الشيخ مبارك في الحقيقة إنني لم أفعل إلا المعروف على أهل الزبير، لكنهم عاقبوني وعاندوا على غير تقصير وظلموا أنفسهم، وهم في حاجة إلينا، بينما نحن لا حاجة لنا عندهم، ومع ذلك كرامة لكم يصير خير. ولم يعط الشيخ مبارك جوابا صريحا.

ثم سارت الوقائع بين الحلف الذي كان يقوده الشيخ مبارك الصباح وبين آل رشيد على النحو التالي :

- في ٣ من شهر سبتمبر وصل بشير من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى الشيخ مبارك بأنهم قد أخذوا من عشائر ابن رشيد أموالا كثيرة إضافة إلى الجمال والغنم، وقتلوا منهم نحو مائتين، وذكر أنهم مقيمون الآن في أطراف نجد، وأنهم سينالون من عشائر ابن رشيد. وقد خلع الشيخ مبارك خلعتين على البشير وسر غاية السرور للفتح الذي ناله عبدالعزيز بن عبدالرحمن (آل سعود). (٩/٣/ ١٩٠٠).
- عبدالعزيز ابن رشيد في "الحفر" وهو مكان يبعد عن الكويت مسافة أربعة أيام. وقد أرسل ابن رشيد مائة جمل إلى السماوة ليحضروا له علفا لدوابه وطعاما لعسكره وإلى الآن لم يعودوا إليه. والشيخ مبارك متنبه لحركات ابن رشيد، وجميع عشائر مبارك مجتمعون على حدوده على موارد المياه، وعند أي اعتداء من ابن رشيد فسوف يرد عليه ويحاربه والشيخ مبارك سيرسل عساكره من البلد إلى عشائره ليساعدهم عند أي طارئ. (١٠/١٢/ ١٩٠١).
- في ١٦ من شهر أكتوبر جاء بشير إلى جناب الشيخ مبارك الصباح من قبل عبدالعزيز بن عبدالرحمن (آل سعود) وأخبره أنهم استولوا على أموال اثنتي عشرة عشيرة من عشائر ابن رشيد، وقد تمت مهاجمتهم في نواحي نجد بالقرب من بلدة المجمعة. وقد سر الشيخ مبارك لما وصله هذا الخبر لأن قوة ابن رشيد معتمدة على هذه القبائل التي انتصر عليها عبدالعزيز بن عبدالرحمن (آل سعود) وأن ابن رشيد حينما يسمع بهذا الخبر سيغتم كثيرا لهذا الأمر الذي جرى لعشائره (١٠/١٨/ ١٩٠١).
- أرسل الشيخ مبارك جميع عساكره إلى عشائره على حدوده حتى يرعوا جمالهم وأغنامهم، لأن عشائره هناك بدون بيرق (علم) أي حماية رسمية، والشيخ مبارك ليس غافلا عن تحرشات ابن رشيد، ولهذا فهو يسعى دائما لحفظ حدوده وحماية عشائره وفق الأصول. علما بأن ابن رشيد لم تعد له القدرة على الوصول إلى حدود الشيخ مبارك، وإذا ما فعلها وحضر فسوف يحارب (١٠/١٨/ ١٩٠١).
- بخصوص ابن رشيد فهو مقيم هذه المدة في الحفر، وقد أرسل رجاله إلى البصرة لإحضار علف لدوابه وليجلبوا طعاما لعساكره فبلاده خالية من الطعام. وقد اكتال رجاله من البصرة في ١٧ من شهر رجب وخرجوا قاصدين ابن رشيد، وقد وصلت تلك القافلة إليه في يوم ٣ نوفمبر، وفي اليوم التالي غادر الحفر لمسافة يومين قاصدا بلاده على التدريج. وحتى الآن لم يتحرش بعشائر الشيخ مبارك. وعشائر الشيخ مبارك وعساكره مقيمون على حدوده يحفظونها ولن يقوموا بأي اعتداء دون إذن المقيم السياسي.
- وقد خرج نحو سبعة آلاف شخص من العسكر تحت بيرق الشيخ مبارك، أرسلهم الأخير لكي تطمئن العشائر حين يقيمون على موارد الماء ويرعون أنعامهم في خير وأمان.

- أما عن عبدالعزيز آل سعود فقد وصل في ١ من شهر نوفمبر إلى الأحساء مع عسكره الذي يقدر بعشرة آلاف شخص من أهل نجد وعشائرها، وكان وصوله الأحساء بغرض الاكتيال منها علفا لدوابه وطعاما لعسكره. ولما وصل إلى نواحي الأحساء وخيم قريبا منها تخوف منه باشا الأحساء وأرسل إليه رسولا، يقول له إننا مع تقديرنا لك فإننا سنرسل إليك كل ما تحتاج إليه من أرز وتمر موجود عندنا. وكان عبدالعزيز ينوي بعد أن يكتال من الأحساء التوجه إلى الكويت في ٢٠ من شهر نوفمبر ليقيم عند الشيخ مبارك ومعه الأموال الكثيرة التي أخذها من عشائر ابن رشيد إضافة إلى الخيل والغنم والجمال. (١١/٦/ ١٩٠١).
- ابن رشيد غادر أرض "الحفر" مسافة يومين قاصدا بلاده، وحتى هذا التاريخ لم يحدث أي تحرش من ابن رشيد مع عشائر الشيخ مبارك. كما أن عساكر الشيخ مبارك جميعهم موجودون عند عشائره وعلى حدوده آمنين في خير وعافية (١١/١٠/ ١٩٠١).
- بخصوص يوسف بن إبراهيم جاء خبر إلى الشيخ مبارك يفيد أنه موجود في البصرة وأنه يجهز (يسلف) الرجال ليبعثهم إلى ابن رشيد.
- بعد أن غادر ابن رشيد "الحفر" نزل على "العكية" على مسافة سبعة أيام عن الكويت، وحتى الآن لم تصدر عنه حركة. ولابد من الإشارة إلى أن المشير (مشير بغداد) والوالي هما اللذين يساعدان سرا يوسف الإبراهيم وابن رشيد ضد الشيخ مبارك. (١٩٠١/١٢/١٥).
- بخصوص الأمير عبدالرحمن بن فيصل عرفناكم أخباره عن طريق كاسكن ممثلكم بالبحرين، وأنه ينوي الذهاب إلى ولده الأمير عبدالعزيز في بلد الرياض. وقد اجتمع عنده نحو أربعمائة شخص مسلحين من جماعته كانوا مقيمين في الكويت وسوف يغادر الكويت في ٣٠ من شهر أبريل ١٩٠٢، وعندما يصل إلى هناك فسوف يقوى ولده ويصعب أمره على ابن رشيد. (٤/١٩/ ١٩٠٢).
- لايزال وكلاء عبدالعزيز ابن رشيد يواصلون حشد الرجال المسلحين في الزبير ويغيرون على بادية الكويت وعلى عشائرالشيخ مبارك. ومنذ يومين أغار نحو ٢٠٠ مسلح على العشائر الموجودة في سفوان. (١٩٠٢/١١/٢٠).
- حدثت معركة بين ابن رشيد وابن سعود في منطقة الدلم القريبة من الخرج، فقد خيم عبدالعزيز آل رشيد عند مدخل بلدة الدلم ، وأحاطت بها قواته لمهاجمتها، فأرسل عبدالرحمن بن فيصل ابنه عبدالعزيز من الرياض في قوات تقدر بخمسة آلاف رجل حيث دخل البلدة ليلا دون علم ابن رشيد، ثم جاءته قوات رديفة قوامها ثلاثة آلاف، وفي الصباح الباكر دارت معركة عنيفة استمرت نحو ست ساعات انهزم بعدها ابن رشيد حيث طاردته قوات الأمير عبدالعزيز آل سعود لمدة ثلاثة أيام إلى أن لجأ إلى القصيم.
- في ٢٠ من نوفمبر أرسل الأمير عبدالرحمن بن فيصل رسالة إلى الشيخ مبارك الصباح يبشره فيها بما تم لهم من النصر، الذي جعل الكثير من قبائل نجد تنحاز إلى الأمير عبدالعزيز بن فيصل وتتحول عن ابن رشيد. (١١/٢٤/ ١٩٠١).

- في ٨ من شهر ديسمبر قام يوسف الإبراهيم ومعه خالد بن عون شيخ الزبير ومعهما مائتا مقاتل بمهاجمة عشائر الشيخ في نواحي الجهراء، وقد تعقبهم رجال مبارك وهزموهم.
- قام عبدالعزيز ابن رشيد في ٢٢ من شهر ديسمبر ١٩٠٢ بمغافلة عشائر الشيخ مبارك ليلا، ودخول أراضي الكويت، وكان ذلك على مسافة ساعة من الجهراء. وقد نهب نحو سبعين منزلا، وعندما سمع بقية العشائر بذلك الهجوم هبوا لمساعدة جماعتهم، وطاردوا ابن رشيد إلى خارج الحدود.
- لما أخبر الشيخ مبارك بهذا الهجوم أبرق إلى الباب العالي بتعديات ابن رشيد ويوسف الإبراهيم. فصدر أمر إلى والي البصرة بأن يبعد يوسف الإبراهيم إلى دمشق أو إلى جدة للعيش هناك، وأن ينقل أولاد الشيخ محمد الصباح إلى بغداد للإقامة فيها. وقد سر الشيخ مبارك لهذه الأخبار. (١٢/٢٢/ ١٩٠٢).
- في ٤ من شهر يناير ١٩٠٣ وصلت السفينة الحربية (المنور) البريطانية آسي، وزار قبطانها الشيخ مبارك حيث طلب منه أن يكتب قائمة بالأشياء التي نهبها ابن رشيد حتى يحملها إلى المقيم السياسي في بوشهر. وقد أوضح الشيخ مبارك للمقيم السياسي أن ابن رشيد قد أغار على حدوده ونهب العشائر التابعة له. وقال إن مسؤولية هذا الأمر تقع على عاتق الحكومة البريطانية التي طلبت مني ألا أتجاوز حدودي، ولو لم أحافظ على عهودي مع الحكومة البريطانية لقمت بمطاردة ابن رشيد داخل الصحراء واستعدت ما نهبه من عشائري وحافظت على حقوقهم. وابن رشيد الآن ضعيف فبعد قتاله مع ابن سعود هجرته جميع العشائر التي كانت معه، وحينما اقترب من الجهراء لم يكن معه سوى ٧٠٠ رجل.
- ألقى رجال الشيخ مبارك القبض على رسول ابن رشيد الذي كان يحمل خطابا إلى يوسف بن إبراهيم وخالد العون حاكم الزبير، وقد أحضروا هذا الخطاب للشيخ مبارك الصباح الذي قرأه وأخبرني أن ابن رشيد طلب منهما (يوسف وخالد) أن يساعداه ضده (أي مبارك). (١/٥/ ١٩٠٣).
- وصول الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن (آل سعود) في ٣ من شهر مارس ١٩٠٣ إلى الكويت ونزوله وعسكره في منطقة عريفجان التي تبعد خمس ساعات عن الكويت. وفي ٥ من الشهر اصطحب أخاه محمدا مع مائة من أتباعه لزيارة الشيخ مبارك الصباح، وقد قرر قضاء العيد في الكويت، ثم يتوجه بعده لمحاربة ابن رشيد الموجود حاليا في ضواحي القصيم. ومما يذكر أن ابن رشيد الآن في حالة من الضعف وقد هجرته قبائله. أما الأمير عبدالرحمن بن فيصل والد عبدالعزيز فقد استقر في الرياض مع قواته. وقد أصبح موقف ابن رشيد صعبا جدا.
- في ٢٠ مايو ١٩٠٣ وصلت إلى الشيخ مبارك أخبار من البصرة تفيد أن عبدالعزيز ابن رشيد قد وصل مع عشائره إلى السماوة. ثم توجه إلى بغداد حيث قابل الوالي التركي وطلب منه مساعدة القوات التركية العثمانية له ضد عبدالعزيز بن عبدالرحمن. وذكر أنه إذا لم يتلق هذه المساعدة فإن عبدالعزيز سيستولى على الحجاز بأكمله، بما فيه مكة والمدينة، وبعد ذلك سوف يأخذ منكم

القطيف والأحساء. وتذكر الأخبار أن السلطات العثمانية قد استجابت لمطالب ابن رشيد الذي بدأ في تعبئة قواته لقتال عبدالعزيز بن فيصل (آل سعود). وقد عبر الشيخ مبارك عن استيائه لهذا الأمر، ولكنه قال إن الأتراك إذا ساعدوا ابن رشيد، فمن المؤكد أن عبدالعزيز بن فيصل سوف يطلب المساعدة من الحكومة البريطانية.

* * *

ومن واقع الأحداث التي سجلها الوكيل الإخباري علي بن غلوم ورسائله المتتالية إلى المقيم السياسي البريطاني يمكن استخلاص الكثير من الوقائع التي تتعلق بفترة تاريخية مهمة أعيد فيها بناء الهيكل السياسي لشبه الجزيرة العربية، وتحتوي تفصيلات تلك الرسائل التي سنقدم ملخصا عن كل منها على مجموعة من المعلومات والتواريخ التي تصحح ما جاء في كثير من كتب التاريخ المتعلقة بهذه الحقبة من الزمن. ولا نريد أن نخوض في هذا الجانب أو نقدم تحليلا للأحداث. فالهدف هو تقديم الوثيقة مجردة دون تدخل منا، ونترك ما وراء ذلك للباحثين من المؤرخين الذين ينبغي عليهم مقارنة الأحداث مع المصادر الأخرى وبيان ما تضيفه وثائق علي بن غلوم ورسائله من جديد إلى تاريخ الكويت.

رابعا- العلاقات الروسية- الكويتية

مبارك يسأل التجار الروس عن سكة حديد برلين:

يعود اهتمام الدبلوماسيين والساسة الروس بالكويت ومنطقة الخليج العربي والكويت إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ويشتمل أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي السوفيتي في بطرسبرغ (لينينغراد) على مجموعة من التقارير والوثائق تتضمن زيارات السفن الروسية الحربية لهذه المنطقة في الفترة الممتدة بين عامي ١٨٩٩ و١٩٠٣. وكانت السفينة "غيلياك" من أوائل السفن الروسية التي زارت ميناء الكويت، وكانت سفينة حديثة البناء (١٨٩٦) في حين أن السفن البريطانية تبدو بالنسبة لها عتيقة باهتة اللون.

في عام ١٨٩٩، وقبل وصول غيلياك، وصل إلى الكويت التاجران الروسيان أرتين أوفانيسوف وعباس علييف، وكانت لزيارتهما بالإضافة إلى الأهداف التجارية (بصفتهما من تجار جلود الخراف) أهداف سياسية أيضا، فقد طلب منهما كروغلوف، القنصل الروسي في بغداد، استطلاع موقف الشيخ مبارك من الزيارة المرتقبة، والبحث عن الشخصيات المتنفذة في الكويت من أجل تأمين استقبال لائق للسفينة وملاحيها. وقد تمت زيارة أوفانيسوف وعباس علييف في مارس عام ١٨٩٩، وحظيا بمقابلة الشيخ مبارك الذي استقبلهما استقبالا حسنا وأبدى خلال حديثه مع التاجرين الروسيين اهتماما بالغا بأخبار الوضع الدولي وما يثار عن خطط بناء سكة حديد (برلين - بغداد)، وأسفرت الزيارة عن إقامة علاقة طيبة بين الكويت والقنصلية الروسية في بغداد، تؤكدها مجموعة من الوثائق المتبادلة بين الطرفين.

إخفاء المعلومات :

وبناء على ما تقدم وصلت السفينة غيلياك إلى جون الكويت في ١٦ مارس ١٩٠٠، وقد أحسن الشيخ ومعاونوه استقبال البحارة الروس خلال اليوم الوحيد الذي وقفته "غيلياك" في ميناء الكويت، حيث رجع الشيخ مبارك من الجهراء خصيصا لاستقبالهم، وشاهد البحارة المدينة في جولة حرة ثم تناول الجميع وجبة الغداء عند الشيخ مبارك. وقد لقي ضباط السفينة والقنصل الروسي حفاوة بالغة وأعد قافلة حراسة للقنصل الروسي عند عودته من الكويت إلى البصرة.

واللافت للانتباه أن علي بن غلوم حينما كتب عن زيارة القنصل الروسي مع السفينة غيلياك لم يتعرض لذكر السفينة وأهمية هذه الزيارة ولا لما دار بين الشيخ مبارك والقنصل الروسي، مما يشير إلى أن الشيخ مبارك قد أخفى عنه المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع، ويبدو أن السبب في هذا هو ما أشار إليه بونداريفسكي عند حديثه عن تلك الزيارة، فقد ذكر أن الشيخ مبارك قد انتقد بشدة إنكلترا ودبلوماسيتها والضغوط التي يمارسها الإنكليز عليه بل وصل الأمر - بحسب ما ذكره بونداريفسكي - إلى أن يصرح الشيخ مبارك برغبته في الحصول على الحماية الروسية. وكل هذه الأمور لم يكن الشيخ مبارك يرغب في نقلها إلى البريطانيين. ولذلك كان تقرير علي بن غلوم المؤرخ في ١٢ أبريل ١٩٠٠ مقتصرا على الأمور الظاهرة، وهي الإفادة عن التاجر الروسي عباس علييف الذي كان يتردد على الكويت منذ ثلاث سنوات لشراء فرو صغار الخراف، وأنه جاء في هذه السنة مع المركب الروسي (المسقوفي)، ونزل مع القنصل الروسي حيث قام بعملية الترجمة بينه وبين الشيخ مبارك. ثم بين أنه بعد سفر المركب غادر القنصل الروسي عن طريق البر وبقي عباس في الكويت يشتري الجلود على عادته، وأنه في ١٦ من ديسمبر ١٩٠٠ نزل لصوص على بيته وسرقوا جميع أغراضه، ولم تتم معرفة اللصوص. وكان الشيخ مبارك وقتها في القنص خارج الكويت([١]).

وقد كان من نتائج زيارة "غيلياك" للخليج العربي والكويت أن رأت الحكومة الروسية ضرورة تطوير العلاقات التجارية والسياسية مع هذه المنطقة. وكان أن أوفدت إلى الخليج كلا من الدكتور صيراميا تنيكوف من كلية الحقوق بجامعة بطرسبرغ والضابط بافلوفسكي، وكان الذي رشح صيراميا تنيكوف الأمير ألكسندر ميخايلوفتش صهر القيصر.

ويشير بونداريفسكي إلى أن صيراميا تنيكوف قد وصل إلى بغداد في يوليو ١٩٠٠، ومنها توجه إلى الكويت ليصلها في ١٢ من أغسطس، وكان يحمل هو ومرافقوه جوازات سفر تثبت أنهم تجار، لأن مهمتهم سرية، وقد انتقد كروغلوف القنصل الروسي في بغداد سلوك صيراميا تنيكوف لأنه زار الكويت دون إخطار وزارة الخارجية الروسية وأن سلوكه هذا كان تحديا لكروغلوف فضلا عن زعمه بأن هذه الزيارة قد أثارت استياء الشيخ مبارك.

[1] - السرقة في عهد الشيخ مبارك من الأمور النادرة للضبط الأمني المحكم في البلد، وأن تتم سرقة شخصية لها علاقة وطيدة بالشيخ مبارك يثير الشكوك حول أهداف اللصوص هل هي مادية أم سياسية؟

مصادر المياه :

ويعطي علي بن غلوم في تقريره المؤرخ في ١٧ أغسطس ١٩٠٠ تفصيلات مغايرة لما ذكره بونداريفسكي، ولم يشر إلى استياء الشيخ مبارك من الزيارة المذكورة. ففي التاريخ نفسه الذي وصل فيه صيراميا تنيكوف (١٢/٨/١٩٠٠) يقول علي بن غلوم: "جاء إلى الكويت القنصل الروسي ومعه ثلاثة رجال عن طريق البحر في سفينة الشيوخ من الفاو. وفي اليوم الذي وصل فيه كان الشيخ مبارك في جزيرة فيلكا للتنزه فيها، وفي اليوم الثاني رجع الشيخ مبارك والتقى القنصل، وفي اليوم الثالث أخذ القنصل إذنا من الشيخ ليتفرج على موارد المياه في البلد فأذن له. وقد ذهب معه أحد رجال الشيخ للاطلاع على آبار المياه، حيث مكث ساعتين من النهار ثم عاد".

وذكر علي بن غلوم أن أول خروج للقنصل الروسي كان من أبو شهر في ٢٩ يونيو ١٩٠٠، وبصحبته شخص يدعى حاجي أحمد دباغي، ركب معه من أبو شهر إلى البصرة، ثم سافر معه إلى بغداد، ومن هناك أخذ له مترجما اسمه عيسى من أهل بغداد، وعاد إلى البصرة، حيث اصطحب معه عبدا من عبيد آل الزهير، فصار رجاله ثلاثة. وقد عبر من البصرة إلى الفاو حيث استقل مركب الشيخ مبارك إلى الكويت. ويقول علي بن غلوم إن زيارة القنصل كان هدفها الظاهر هو السياحة، ويفيد تقرير آخر لعلي بن غلوم مؤرخ في١٨/٨/١٩٠٠ "ان القنصل الروسي سافر من الكويت في سفينة الشيخ مبارك إلى الفاو، ومنها يتجه إلى البصرة وبعد ذلك إلى المحمرة ثم أبو شهر، وأن هذا هو الاتجاه الظاهري. وأنه في اليوم الذي أراد فيه السفر قام بتصوير الشيخ مبارك ومعه ولده الصغير حمد وعمره سبع سنوات، وصور أيضا اثنين من رجال الشيخ مبارك الجالسين عنده ثم سافر".

ويتضح من تقرير علي بن غلوم أن شخصية كل من صيراميا تنيكوف وصاحبه الضابط لم تكتشف، وأنهما قد حققا غاياتهما في التعرف إلى البلد وموارده المائية وإمكاناته المختلفة. ولعل رغبتهما في الاطلاع على موارد المياه تدل على أهدافهما العلمية والسياسية.

ولم تنقطع الاتصالات الروسية الكويتية، وفي الوقت نفسه لم تكن تفصيلاتها الحقيقية معروفة لدى الوكيل الإخباري البريطاني علي بن غلوم، فتقريره المؤرخ في ١٦ مارس ١٩٠١، يفيد بوصول شخصين من رعايا المسقوف (الروس) لشراء فرو الخرفان الصغيرة. وأنهما كانا مشغولين بشراء الجلود، وذكر أن أولهما (ويقصد عباس علييف) كانت له عادة في موسم الربيع من كل سنة أن يأتي إلى الكويت، أما الثاني فهو يأتي لأول مرة لشراء الجلود أيضا.

عودة للتشاور:

أما بونداريفسكي الذي اعتمد في كتابه على الوثائق الروسية فيذكر أنه في أوج الصراع بين مبارك وابن رشيد انتهز سكرتير السفارة الروسية في بغداد "أوسينكو" الذي كان في تلك الفترة في البصرة فرصة توجه التاجر الروسي عباس علييف إلى الكويت، وهو الذي سبق أن رافق كروغلوف سنة ١٩٠٠ إلى الكويت، وكلفه باستيضاح كل الظروف المرتبطة بالعمليات العسكرية في الجزيرة العربية. لكن علييف لم يجد مباركا في الكويت، فقد كان وقتها يخوض الحرب مع ابن رشيد في الصحراء، وقد ترك له رسالة أبلغه فيها تحياته مع إخباره أنه توجه إلى البصرة عقب مغادرته للكويت. وفور عودة الشيخ مبارك مباشرة بعد موقعة الصريف أرسل مبعوثا إلى البصرة لتسليم عباس علييف خطابا، يطلب فيه عودته إلى الكويت لمدة يوم واحد "للتشاور في بعض الأمور"، لعلمه بأن هذا التاجر كان مقربا من كروغلوف. وأكد مبارك في رسالته أن "هذا الأمر ضروري جدا". ولم يلبث أن عاد عباس علييف إلى الكويت وسلم رسالة إلى الشيخ مبارك من أوسينكو تتضمن تحياته وسروره لعودة الشيخ سالما إلى الكويت.

وقد عاد عباس إلى البصرة في ١٢ أبريل ١٩٠١، حاملا معه خطابين من مبارك إلى كل من أوسينكو وكروغلوف، وذكر مبارك في رسالتيه أنه كلف عباس بأن ينقل شفهيا إلى كروغلوف كل رغباته التي يمكن إيجازها بأنه يرحب بالحماية الروسية على بلاده. واستعداده لتمكين الروس من اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان أمن الكويت. وقد بالغ عباس علييف وربما بونداريفسكي في عروض الشيخ مبارك على الروس، مما جعل كروغلوف يطلب من عباس أن يعود إلى الكويت للمرة الثالثة ويطلب من الشيخ مبارك أن يكتب طلباته بصيغة مكتوبة وليست شفهية، وقد ذهب بالفعل إلى الكويت ورجع إلى البصرة في يوم ٢٣ أبريل ١٩٠١ ليقص على أوسينكو بأن مبارك قرر أن يلخص رغباته كتابيا غير أنه لم يجرؤ على أن يخط على الورق كل أفكاره لأنه كان يخشى أن تستغل هذه الأوراق في حالة وقوعها بيد الآخرين.

وقد أورد بونداريفسكي صورة الرسالة التي بعث بها الشيخ مبارك إلى كروغلوف (ص ٤٦٧) ولا يوجد في هذه الرسالة المحررة ما يفيد طلب الحماية من قريب أو بعيد، فهي شرح عام لوضع الكويت وما تتعرض له من اعتداءات ودسائس من قبل الأتراك وابن رشيد. ومن ثم فإن مسألة طلب مبارك الحماية الروسية مسألة يكتنفها الشك، بخاصة أن الكويت كانت في ذلك الوقت في معاهدة حماية فعلية مع بريطانيا.

وما يهمنا هنا أيضا أن الوكيل الإخباري علي بن غلوم لم يشر إلى الزيارتين الأخيرتين لعباس علييف، ولم تتحرك عنده الشكوك من تردده على الشيخ مبارك. كما أن علي بن غلوم لم يكتب عن زيارة الطراد الروسي "فارياغ" الذي وصل جون الكويت في ٢١ ديسمبر ١٩٠١، وكان سفينة من الطراز الأول صنع في العام نفسه وتبلغ حمولته ٦٥٠٠طن، ويحمل ٣٤ مدفعا سريع الطلقات، وعدد طاقمه

٥٧٠ شخصا. وقد حظيت هذه الزيارة باهتمام كبير من الدوائر السياسية البريطانية والصحافة الإنكليزية والهندية. وقد لقي أوسينكو والبحارة الروس استقبالا حارا من الشيخ جابر المبارك نيابة عن والده الذي كان في الجهراء، وقد قرر أوسينكو الذهاب مع وفد من السفينة على ظهور الخيل إلى هناك حيث استقبلهم الشيخ مبارك وأقام عرضا عسكريا خاصا تكريما للضيوف الروس. وأعرب الشيخ مبارك عن تقديره لهذه الزيارة وعن رغبته في أن يرى السفن التجارية الروسية محملة بالبضائع والسلع الروسية في الكويت.

وبعد سفر "فارياغ" أرسل أوسنيكو رسالة إلى الشيخ مبارك الصباح بتاريخ ٥ من ذي الحجة ١٣١٩هـ (١٥ مارس ١٩٠٢) يشكره فيها على الاستقبال الطيب الذي استقبل به مع ضباط السفينة، ويطلب الحصول على ثلاثة غزلان أو أربعة بحيث تكون مستأنس وغير متوحشة مع ذكر أو اثنين، وأن ترسل إلى بوشهر مع بيان قيمتها. وطلب إبلاغ تحياته إلى الشيخ جابر وجناب الشيخ عبدالرحمن الفيصل.
وفي ١٢ من شهر ذي الحجة ١٣١٩هـ ([1]) (٢٢ مارس ١٩٠٢) أرسل أوسينكو رسالة أخرى يشير فيها إلى رسالة سابقة بعثها إلى الشيخ مبارك. ويذكر أنه قد وفد إليهم من روسيا أستاذ في العلم الطبيعي هو الدكتور بوغوياوتسكي، وأنه قضى عندهم بضعة أيام وتردد على بعض موانى الخليج بهدف جمع عينات من الحيوانات البحرية الصغيرة. وفي هذه المرة يريد التوجه إلى الكويت، ويطلب أوسينكو من الشيخ مبارك أن يخصص له من يقوم بمساعدته من أهل الكويت، وأن يستأجر خلال الأيام التي سيقضيها في الكويت بيتا، حيث سيبقى أربعة أيام أو أكثر. ويرجو الشيخ مبارك أن يعامل هذا الشخص المعاملة الودية التي عاملها أوسينكو.
وقد أرسل الشيخ مبارك صورة الخطابين إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، وذلك لأن الرسالة الأخيرة كان فيها طلب استئجار بيت لشخص أجنبي وهو ما حظرته اتفاقية الحماية بين بريطانيا والكويت. وقد ذكر الشيخ مبارك في رسالته إلى المقيم السياسي البريطاني، المؤرخة في ١٠ من محرم ١٣٢٠هـ (١٩ أبريل ١٩٠٣) أنه لن يسمح بتأجير بيت للشخص المذكور بل سيجعله يقيم في ضيافته بالديوان (الوثائق ١٧، ١٨، ١٩).
وبعد مرور عام على زيارة "فارياغ" سجل الوكيل الإخباري علي بن غلوم وصول الطراد الروسي "أسكولد" الذي ألقى مرساته في ميناء الكويت قبل غروب الشمس بنصف ساعة من يوم الحادي عشر من رمضان الموافق ١٢ من ديسمبر ١٩٠٢، وكان على متنه القنصل الروسي في البصرة آدموف الذي لم يتمكن من النزول في اليوم الثاني بسبب سوء الأحوال الجوية، وفي اليوم الثالث نزل وبصحبته اثنان من ضباط السفينة حيث زاروا الشيخ مبارك.
ولما كانت السفينة الحربية البريطانية (لورنس) التي كانت تقل نائب القنصل البريطاني في بوشهر راسية في ميناء الكويت قبل وصول (أسكولد) فقد كان أول

---

[1] - **كتب التاريخ في الرسالة المذكورة في عام ١٣٢٠ هجرية ويبدو أنه خطأ من ناقل الرسالة، فالصواب ١٣١٩ هـ ، كما أثبتنا وهو الموافق للسياق التاريخي.**

سؤال سأله القنصل الروسي للشيخ مبارك عما إذا كانت السفن الحربية البريطانية تتردد باستمرار على الكويت؟ وقد استفسر القنصل الروسي من الشيخ مبارك أيضا عن مدى علمه بموافقة بريطانيا على إقامة سكة حديد إلى كاظمة، فأجابه الشيخ مبارك إنه ليس على علم بهذا الموضوع، وقد دار حديث حول هذا الموضوع. ودعا القنصل الشيخ جابر بن مبارك الذي كان حاضرا الاجتماع لزيارة سفينته، فلبى الدعوة مع بعض رجال الكويت، وعند مغادرته للسفينة أهديت إليه بندقية ذات ماسورتين، وقد غادرت ميناء الكويت في ١٥ ديسمبر ١٩٠٢.

ضجة في الكويت بعد وفاة ٢٠ شخصا أكلوا قطعا من الحلوى

في ذروة تدهور العلاقات الإنكليزية الروسية حصل تقارب بين الحليفتين روسيا وفرنسا، وفي استعراض واضح ومحاولة لكسر احتكار بريطانيا لمياه الخليج العربي قام الطرادان الروسي بويارين والفرنسي انفيرني Infernet بجولة مشتركة في موانئ مسقط والخليج العربي. وكان الهدف الذي كتبه قائد الطراد الروسي بويارين في يوميات سفينته هو: أن نبين في الخليج الاتجاه المنسجم والودي لسياستنا والسياسة الفرنسية، خلافا لذلك الرأي الذي تروج له الحكومة البريطانية وعملاؤها وممثلوها في موانئ الخليج وفي أوساط المشايخ والقبائل العربية وفي ساحل الخليج، والقائل ان الخليج بحر مغلق، فوق أنه يوجد فقط تحت نفوذ بريطانيا.

سفينتان روسيتان في الكويت :

ويسجل القبطان الروسي يوم وصوله مع الطراد الفرنسي ٢٠ فبراير ١٩٠٣ في الساعة الحادية عشرة وخمس وخمسين دقيقة. في حين أن التقرير الذي كتبه علي بن غلوم يذكر أن تاريخ وصول السفينة كان في ٥ من ذي الحجة عام ١٣٢٠هـ الذي يوافق ٥ مارس ١٩٠٣، يقول الوكيل الإخباري علي بن غلوم: "وصلت إلى الكويت سفينتان حربيتان إحداهما روسية وأخرى فرنسية، وصلتا بعد ٥ ساعات من شروق الشمس في ٥ من شهر ذي الحجة، وبعد وصولهما بساعة نزل رجلان من السفينة الحربية الروسية ليزورا الشيخ مبارك، وكان الرجلان من الجنسية الفارسية وهما حاجي عبدالرضا وحاجي أحمد، وقد أبلغا الشيخ مبارك أن القنصل الروسي سوف ينزل من السفينة اليوم التالي، وسيتناول الغذاء معه (مع مبارك)، كما أخبرا الشيخ مبارك كذلك أن القنصل رغب في أن يقوم الشيخ صباح بزيارة السفينة ومشاهدتها وبناء على ذلك فإن الشيخ مبارك والشيخ صباح اصطحبا ١٠ رجال في هذه الزيارة، وفي يوم ٦ من شهر ذي الحجة، نزل القنصل الروسي وفي معيته قائد السفينة، بالإضافة إلى قائد السفينة الفرنسية واثنين من ضباطها نزلوا إلى الشاطئ وزاروا الشيخ مبارك الذي استقبلهم بحفاوة وأدب، وبعد تناول الإفطار ذهبوا لرؤية عبدالعزيز بن فيصل آل سعود ومكثوا معه لمدة ساعتين، وبعد ذلك عادوا جميعا إلى سفينتيهما، وفي يوم ٧ من شهر ذي الحجة نزل إلى الشاطئ القنصل الروسي وعشرة من رجال السفينة الروسية، وكذلك قائد السفينة الفرنسية وعشرة من رجالها لزيارة الشيخ مبارك وقدم القنصل إلى الشيخ مبارك ثلاث بنادق ذات ماسورة مزدوجة ومسدسا ذا خمس طلقات، وكذلك بندقية ماركة موزر، وبعد ذلك زاروا عبدالعزيز وأعطاه القنصل بندقية ماركة موزر Mauser، وظلوا هناك مع

عبدالعزيز لمدة ساعتين، وعند رحيلهم طلب القنصل إلى عبدالعزيز مرافقتهم إلى السفينة حتى يطلعوه عليها، ولكن عبدالعزيز اعتذر لتعبه، وقد قبل القنصل الاعتذار وطلب من عبدالعزيز أن يرسل شقيقه، ومن ثم وافق عبدالعزيز وأرسل شقيقه وبصحبته عشرة رجال، وقد اتفق على أن تغادر السفن الحربية في ٨ من ذي الحجة".

الطراد بويارين :

وفي الوقت الذي جاء فيه تقرير علي بن غلوم مختصرا، نجد أن سجل الطراد بويارين حافل بالمعلومات عن تلك الزيارة سواء في ما يتعلق بحفاوة الاستقبال أو في وصف المدينة وأحوالها، وفي ما يلي نبذ من ذلك التقرير لأهميتها:
"مساء ١٩ فبراير وصل إلى الطراد عميد القنصلية الروسية العامة في بوشهر أوفسيينكو للقيام بجولة على متن الطراد في موانئ الخليج. وفي الساعة ٨ و ٢٠ دقيقة رفع الطراد المرساة، في أعقاب الطراد infernet ، وسار خلفه باتجاه الكويت".
"في ٢٠ شباط، الساعة ١١ و ٥٥ دقيقة صباحا، رسوت في مرفأ الكويت، بعد infernet ، على عمق ٦ ساجنات (قامات) وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وصل من الشاطئ قارب من لدن الشيخ مبارك للتهنئة بالوصول ولدى عودته إلى الشاطئ، وبناء على نصيحة القنصل أوفسيينكو، جاء إلى الطراد في الحال صباح بن مبارك، النجل الثاني للشيخ مبارك، بصحبة حفيد الشيخ، ابن نجله الأكبر الشيخ جابر بن مبارك، أحمد بن جابر، لأجل تهنئتنا بالوصول باسم مبارك، والاتفاق على موعد زيارتي للشيخ مع القنصل والضباط ولدى مغادرته أديت له تحية متفق عليها من ٥ طلقات، وبعد ذلك قام هؤلاء الأشخاص بزيارة انفيرني وقد اتفقت مع قائد انفيرني على أن نقوم في ٢١ فبراير صباحا عند الساعة التاسعة، بزيارة جوابية، واتجهنا إلى الشاطئ في الموعد المقرر. كانت المياه ضحلة، فأرسلوا لملاقاة القاربين جيادا أوصلتنا إلى الشاطئ. استقبلنا الشيخ مرتديا أغلى الألبسة تكريما لنا، ورحب بنا أجمل الترحيب وأعلن حسب العادة العربية أن داره دارنا. لقد استقبلنا هذه المرة في دار أخرى، وليس في تلك التي استقبلني فيها أثناء مجيء السفينة "غيلياك". فغرفة الاستقبال مؤثثة بشيء من الترف والجدران مزينة بزخارف من الرسم الهندي، وربما المحلي أيضا. وفي هذه الغرفة سجادة اشتراها بنفسه، وأثاث أهداه إياه الإنكليز، وعلى الجدران علقت صور كبيرة زيتية للملكة فيكتوريا والملك إدوارد والملكة الكسندرا. وقدمت لنا حسب العادة القهوة ومن ثم الشاي. وكان طقم الشاي من الفضة الجديدة - من صنع وارسو، وقد علمنا فيما بعد أنه هدية من تاجرين روسيين يتاجران بفراء الحملان ويتمتعان منذ بضع سنوات بحظوة لدى الشيخ، أي بالحق في تصدير الفراء من دون رسوم، وبالحماية. وفي أثناء مجيء "غيلياك" كان شخص أرمني روسي التبعية يتعاطى هذا العمل المربح جدا لأن ثمن الجلد غير المسلوخ روبلان و ٥٠ كوبيكا في الكويت، وهذا ثمن جيد، ولكن الجلد

يباع في روسيا بأغلى من ذلك بكثير. ولكن لم تكن لدى هذا الشخص المبالغ الكافية للصمود في وجه منافسة هذين التاجرين فأصبحا الآن يحتكران هذه التجارة. ومعطف الفرو، الذي ارتداه الشيخ، كان أيضا هدية من التاجرين المذكورين. وتطرق الحديث، طبعا، بصورة عفوية إلى مسألة خط سكة حديد بغداد. إن الشيخ يعارض، يلاشك، السماح بوصول الخط إلى الكويت، ويدرك أن ذلك يشكل نهاية لقوته وسلطته. ولكن عندما طرح عليه سؤال عما سيكون موقفه إذا تم تنفيذ الخطة البريطانية التي تهدف إلى شق طريق من بورسعيد إلى الكويت، أجاب بطريقة دبلوماسية إنه لو جرى بناء هذا الطريق من جانب بريطانيا وروسيا وفرنسا لما كان على الأرجح يعارض ذلك. لم يتغير الشيخ كثيرا خلال السنوات الثلاث المنقضية. فهو يثير في النفوس الانطباع عن شخص يعرف قيمة نفسه ومكانته معرفة جيدة. وأعربت له عن رغبتي في مشاهدة السوق والمدينة بمساعدة السيد أوفسيينكو، وردا على ذلك كرر أن كل ما يملكه موضوع تحت تصرفنا، ثم طلب منا أن نشرفه بتناول طعام الفطور عنده بعد مشاهدة السوق والمدينة. هذه المشاهدة لم تعطنا شيئا جديدا. وسبق للجميع أن وصفوا السوق والمدينة في التقارير السابقة. في السوق الجديد يوجد الكثير من الزجاج النمساوي المنشأ، ولم أشاهد بضائع روسية. وتصدير فراء الحملان يجري بكميات كبيرة، وأعلن التاجران بكل صراحة أن ذلك أمر مربح جدا لهما. وفي أثناء التنزه ذهبنا جميعا، أي قائد انفيرني مع ضباطه وأنا مع ضباطي والقنصل، للقيام بزيارة لعبدالعزيز بن سعود نجل المنتصر على ابن الرشيد، والذي عاد أخيرا من الرياض.

احتفالات بهيجة :

وقبل وصولنا بوقت قليل جرت في الكويت احتفالات بهيجة وصاخبة بانتصار عبدالعزيز على ابن رشيد.. وفي يوم مغادرة الطراد كان ينبغي لعبدالعزيز القيام بحملة جديدة بعد أن تلقى تعزيزا كبيرا من ١٤٠٠ محارب ومؤونة من مبارك" .

"بعد قيامنا بهذه الزيارة ومشاهدتنا المدينة والسوق اللتين تمثلان لوحة جميلة جدا، ولاسيما الساحة التي تؤمها القوافل المقبلة من الصحراء وتنطلق منها القوافل عائدة، رجعنا إلى مبارك، وبعد احتساء الشاي والقهوة مرة أخرى، دعينا إلى تناول الفطور. لم يجلس مبارك أحدا معنا من المقربين إليه، وجلس هو وحيدا. إن العادة، التي عرفناها في أثناء مجيء "غيلياك" قد تغيرت آنذاك كان صاحب الدار يختار بيده أفضل قطعة من الكبش المشوي ويغمسه في صلصة الكاري، وبعد أن يمرغها في الرز يضعها بيديه في فم ضيف الشرف. أما الآن فلم يعد ذلك متبعا، فإن الشيخ يكتفي باقتطاع قطعة من الكبش ويضعها على صحن الرز لمن يشاء. قدموا لنا الملاعق والشوكات، أما الشيخ فكان، كعادته، يأكل بيديه، وكان يفعل ذلك بلياقة فائقة، والحق يقال، وحتى ببعض العظمة التقليدية القديمة، فالعرب، بالإجمال، يأكلون قليلا، ولكن إذا كانوا في عيد فهم لا يمانعون في أن يأكلوا جيدا، ولكن من

دون شراهة ومن دون مبالغة، فهكذا على أقل تقدير يأكل الشيخ مبارك. والشيء الجديد كان تقديم ماء الشرب، وهو ماء مطري بالطبع، في أثناء المأدبة، ففي الآونة الأخيرة هطلت أمطار غزيرة في الكويت وامتلأت الآبار. بعد المأدبة ودع القنصل وأنا مع ضباطي الشيخ، وكذلك فعل قائد انفيرنى مع ضباطه. ورافقنا حتى عتبة غرفة استقباله، وعدنا كلنا إلى السفينة. قبل المغادرة أبلغني الشيخ عبر أوفسيينكو أنه يتشرف اليوم باستقبال القائد الفرنسي، باعتباره أعلى رتبة، وأنه يطلب مني المجيء غدا لتناول طعام الفطور عنده باعتباري صديقا قديما.

فاضطررت للاعتذار لأنني كنت أزمع إرسال معاوني لالتقاط صور فوتوغرافية، وإتاحة الفرصة لسائر الضباط أيضا لمشاهدة الكويت، لذلك طلبت من الشيخ أن يستقبل معاوني بالنيابة عني لكي يتمكن هو الآخر من التعرف عليه، وإذا ما قدر له وأصبح قبطانا فسوف يكون معروفا لدى الشيخ شخصيا لدى مجيئه إلى الخليج مرة أخرى. فوافق الشيخ بطبيعة الحال، واقترح الشيء نفسه على القائد الفرنسي، كما اقترح على الضباط أن يسافروا قبل مأدبة الفطور إلى الصحراء على ظهور الخيل أو الجمال، ومن ثم يتناولون طعام الفطور بعده. وتنبغي الإشارة إلى الشيء الجديد الذي حدث إبان الزمن الذي مر على مجيء السفينة الحربية الروسية، أعني "غيلياك"، إلى هنا وهو الخندق غير العميق، الشبيه بمربض رماية، حول المدينة. وقد حفر هذا الخندق لحماية المدينة من ابن رشيد والأتراك. ويمتد هذا الخندق من إحدى ضفتي الخليج حول المدينة إلى الضفة الأخرى. وفي بعض أماكنه يمكن للمرء إطلاق النار وهو جاث على ركبتيه، وفي أماكن أخرى وهو واقف على رجليه. لقد جرى فعل ذلك بناء على نصيحة وتعليمات ضباط بريطانيين.

في صباح اليوم التالي، وعند حوالي الساعة التاسعة، نزلت إلى الشاطئ. وسافر معاوني مع آلة تصوير ومع السادة الضباط، وكذلك مع ضباط من إنفيرني، على ظهور الجياد إلى الصحراء وتناولوا طعام الفطور عند الشيخ، وبعد ذلك التقطوا صورا فوتوغرافية. كما قاموا بزيارة للشيخ عبدالعزيز بن سعود. وفي الساعة الثانية وصلت إلى المرفأ أول سفينة حربية بريطانية صادفتها طوال هذا الوقت هي السفينة "سفنكس" التي أرسلت إليها ضابطا لتقديم التهنئة بالوصول، وفعل الشيء نفسه الطراد "انفيرني".

في اليوم نفسه جاء إلى الطراد مع الحاشية بادئ الأمر حفيد مبارك، ابن وريثه وقائد جيشه الشيخ جابر بن مبارك، أحمد بن جابر، كما جاء في زيارة جوابية وللتوديع قبل القيام بحملة جديدة، وبتكليف من شقيقه الأكبر عبدالعزيز آل سعود، محمد مع شقيقه سعد مع حاشية مسلحة تسليحا غنيا وجيدا، وشاهد الجميع السفينة باهتمام شديد وكانوا مسرورين جدا بالاستقبال، لدى مغادرتهم، ورغم أن العلم كان منزلا، أديت لهم تحية من خمس طلقات وأضيئت لهم الطريق بالمصابيح الكاشفة فأثار ذلك في نفوسهم ارتياحا عظيما.

في ٢٣ شباط من العام الجاري، الساعة الواحدة بعد الظهر، رفعت المرساة في أعقاب "إنفيرني" وواكبتها لمواصلة الإبحار نحو لنغة".

* * *

ولا نريد من العرض السابق أن نستوفي تفصيلات العلاقة الكويتية الروسية، ولكن المقصود هو محاولة الربط بين المصادر المختلفة والمقارنة بينها من أجل بيان موقع المعلومات التي أوردها علي بن غلوم في تقاريره بالنسبة للمصادر الأخرى. وقد اعتمدنا في هذا على مصدرين روسيين هما: كتاب "الكويت وعلاقاتها الدولية، لبونداريفسكي"، وكتاب "سفن روسية في الخليج العربي، لريزفان"، وهناك مصادر أخرى يمكن للباحث عن مزيد من المعلومات الرجوع إليها.

خامسا ..

أحداث أخرى:

اشتملت تقارير ورسائل الوكيل الإخباري على مجموعة من الموضوعات المتفرقة الأخرى التي سجلت بعض الأحداث المحلية والإقليمية، لكنها لا يمكن تصنيفها ضمن الأمور التي تطرقنا إليها في النقاط السابقة. وإثباتنا هنا لتلك الأحداث - رغم قلتها - ربما يفيد بعض الباحثين في التعرف على جوانب من صورة المجتمع الكويتي وأحوال المجتمعات المجاورة، وفيما يلي جانب من تلك الأحداث أوردناها بحسب تسلسل ورودها في الرسائل :

- في ٢٤ أكتوبر ١٨٩٩ حصلت ضجة في مدينة الكويت، فقد توفي عدد من الأطفال والكبار بلغ عددهم نحو ٢٠ شخصا، وذلك نتيجة تناولهم قطعا من الحلوى أو مكعبات السكر أو سكر النبات. وقد بعث الشيخ مبارك أشخاصا إلى إرجاء المدينة للبحث عن أي رجل غريب واعتقاله.
- في الخامس من شهر رجب ١٣١٧ هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٨٩٩ هطلت الأمطار بشدة في الكويت وتراكمت المياه في الصحراء لمدة ستة أيام، وفي اليوم السادس من شهر رجب ذهب الشيخ مبارك للتنزه وصيد الحباري مع خمسين فارسا مسلحا كانوا يرافقونه.

ويبدو ان هذه الحادثة - رغم كونها حدثت في شهر رجب - فإنها تختلف عن الأمطار التي أطلق عليها الكويتيون اسم الرجيبة والتي وصفها المرحوم حمد السعيدان في موسوعته بأنها "مطر عظيم انهمر على الكويت في شهر رجب عام ١٢٨٩ هـ الموافق سبتمبر ١٨٧٢ وهدم الكثير من المنازل ولجسامة ذلك الحادث اخذ الكويتيون يؤرخون به، إذ عرفت تلك السنة بالرجيبة".

- في ٢٠ ابريل ١٩٠٠ جاء إلى الكويت عبدالرحمن بن سلامة، وهو رجل يسكن في نواحي الأحساء، وهو شيخ عشائره. وسبب مجيئه ان باشا الأحساء قد غضب عليه، فالتجأ إلى الشيخ مبارك الصباح راجيا ان يتشفع له عند والي البصرة على والي الأحساء. وقد تشفع له الشيخ مبارك عند والي البصرة. وقد غادر عبدالرحمن بن سلامة الكويت في ٢ من شهر محرم (١ مايو ١٩٠٠) قاصدا جماعته.

وهذا الخبر يدل على مكانة الشيخ مبارك ودالته على والي البصرة.

يخبرنا التقرير المؤرخ في ٣/٦/١٩٠٠ عن نزاع نشب بين أهل تاروت مع غواصين من أهل الكويت، هذا الذي قتل فيه عدد من غواصي أهل الكويت، فقد جاء تعريف من محمد بن عبدالوهاب إلى الشيخ مبارك في ٢ محرم ١٣١٨ هـ ٢ مايو ١٩٠٠، مفاده ان أهل تاروت جاؤوا ملتجئين إليه، بحضور حسين بن علي وإبراهيم بن مضف وهما من أهل الكويت، وطلب أهل تاروت الفصل في هذه القضية حتى يستطيعوا الغوص في تلك السنة، وإلا فإن الكويتيين لن يمكنوهم من

ذلك، وقد تم تقدير فصل القضية بمبلغ ثلاثة آلاف ريال، يتعهد محمد بن عبدالوهاب بتسليمه خلال ثلاثة أشهر فقط. وقد قبل الشيخ مبارك بهذا.

في ٣٠ سبتمبر ١٩٠٠ وصل إلى الكويت من البصرة عشرة من العساكر معهم آلات موسيقية وقد أصبحوا يعزفون عند مقر الشيخ مبارك الصباح في وقتين أولهما إذا مضى من النهار سبع ساعات وجلس الشيخ مبارك في مجلسه مع جماعته، والثاني بعد جلوسه بعد زمن الغروب بساعة. وهؤلاء العسكر لا يتبعون الحكومة العثمانية، بل يعملون لحسابهم الخاص يطوفون على المشايخ للتكسب (٤/١٠/١٩٠٠).

وصلت إلى الشيخ مبارك أخبار عن نشاط العصابات والسراق في البصرة. فهم في كل ليلة يسرقون بيتا من بيوت تجارة البصرة ولا يبالون.. ففي ٣ من شهر رجب ١٣١٩هـ (١٦ أكتوبر ١٩٠٠) أغار الحرامية على بيت عبدالرزاق بن منصور وهو احد تجار البصرة المعروفين، فقد كسروا بابه ودخلوا البيت واخذوا جميع أمواله من جملتها نحو أربعة آلاف ليرة كانت أمانة عنده للبونيان (تجار من الهنود). وقد اشتكى التاجر عبدالرزاق إلى مشير البصرة فلم يصنع شيئا (١٨/١٠/١٩٠١).

ويفيد تقرير لاحق مؤرخ في (١٠/١١/١٩٠١) ان شط البصرة مخوف هذه الأيام ففي ٢٥ من شهر رجب ١٣١٩ه (٧ نوفمبر ١٩٠١) اخذ البلشتية (القراصنة) سفينة من أهل الديلم وأخرى من أهل الكويت وثالثة من أهل الجسم (جزيرة على الساحل الفارسي).

في ٥ يوليو ١٩٠١، وصل إلى الكويت اغا جعفر بن اغا عبدالنبي ومعه حمد المنيس فقط في مركب هندي ونزل في بيت الشيخ مبارك حيث أقام يومين وفي اليوم الثالث عزم على السفر، وحمل لنفسه نحو ثلاثين بوما (سفينة) من الصخر إلى المركب، لأنه قد اشترى أرضا جديدة في البصرة ويريد تعميرها.

وقد طلب اغا جعفر من الشيخ مبارك ان يسمح لمراكب العجم (الإيرانيين) المسابلة (المتاجرة) مع الكويت بحمل الخيل من الكويت فهو أسهل على أهل الخيل من البصرة أو من المحمرة واقل تكلفة، ورجاه ان يوافق على ذلك حتى يخبر أهل الخيل الذين يأتون من الشام والموصل وحلب ونجد وأهل الزبير جميعا بحيث يأتون عن طريق الزبير ومنها إلى الكويت (في وجه الله ثم في حمايتكم). وقد قبل الشيخ مبارك هذا العرض بشرط أن يجعل على كل رأس من الخيل رسما (ضريبة) ريالين، وفي اليوم الثالث سافر أغا جعفر إلى البصرة وكان معه حمد المنيس، والأخير هو من أهل الكويت لكنه مقيم في البصرة منذ سنتين.

وتشتمل رسالة علي بن غلوم هذه على أمرين: أولهما مسألة تصدير الصخر ونقله من الكويت إلى البصرة لاستخدامه في بناء البيوت وتعميرها. وهذه معلومة جديدة لم تكن معروفة من قبل. وقد كانت الصخور التي تقلع من ساحل البحر في منطقة عشيرج في الكويت مادة البناء الأساسية في بيوت الكويت، وعرفت بقوتها ومتانتها.

أما الأمر الثاني وهو طلب أغا جعفر من الشيخ مبارك أن يسمح لمراكب الإيرانيين بحمل الخيل على سفنهم من الكويت إلى الهند للمتاجرة بها. فهو أيضا من المعلومات التي يمكن أن تضاف إلى تاريخ تجارة الخيول في الكويت. فقد نشطت هذه التجارة منذ أواخر القرن التاسع عشر، إذ كانت الخيول العربية الأصيلة ذات السلالات الجيدة التي كانت تجمع لتجار الكويت من بوادي الجزيرة العربية في بداية موسم السفر من كل عام من السلع المرغوب فيها في حكومة الهند الإنكليزية، وكان الحصان الجيد يشترى ويباع في بومبي بمبلغ كبير. وكانت الضرائب العالية التي كانت تؤخذ على تصدير الخيول في مواني العراق وإيران من الأسباب التي دعت إلى أن تكون الكويت هي الميناء الأفضل للتصدير، حيث تنقل في سفن الكويت الشراعية إلى الهند. ولم تتوقف تجارة الخيول ونقلها من الكويت إلى الهند إلا في منتصف الأربعينات من القرن العشرين.

في رسالة الوكيل الإخباري المؤرخة في ١٠ من محرم ١٣٢٠هـ (١٩ من أبريل ١٩٠٢) يخبرنا علي بن غلوم أن الشيخ مبارك قد بعث بولده الشيخ فهد ومعه الحاج حسن بن علي بن غلوم وعدد من الرجال إلى بوشهر بالسفينة منور، وذلك لعلاج الشيخ فهد عند الطبيب هناك. وأنه يعاني من جرح في رقبته منذ مدة ومن ثم أمر الشيخ مبارك أن يذهب ابن علي بن غلوم معه إلى بوشهر للعناية به.

وقد كتب الشيخ مبارك الصباح بتاريخ ١٠ من محرم ١٣٢٠هـ (الموافق ١٩ من أبريل ١٩٠٢) رسالة إلى الكولونيل كمبيل المقيم السياسي البريطاني في بوشهر يذكر فيه ان ابنه فهد البالغ من العمر عشر سنوات به قرحة في رقبته وذلك منذ خمسة أشهر ويرجو أن يعرض على الأطباء هناك. وقد جاء رد المقيم السياسي البريطاني بعد تسعة أيام أي في ١٩ من محرم ١٣٢٠هـ (الموافق ٢٨ من شهر أبريل ١٩٠٢) بأنه قد عرضه على الدكتور الكبير الميجر هود وقد فحصه بدقة، وذكر ان الجرح صعب العلاج وتطول المدة لإبرائه، والأصلح أن يعود الولد إلى الكويت ويتداوى هناك بحسب العلاج الذي وصفه الدكتور هود، فإذا استمر على الدواء بموجب دستور العمل الذي طلب إليه فسيبرأ الجرح بإذن الله.

وقد توفي الشيخ فهد بعد أربع سنوات من تلك المسألة، وقد عرفنا ذلك من رسالة وجهها المقيم السياسي البريطاني إلى الشيخ مبارك يعزيه فيه بوفاة نجليه فهد وصباح. ويقترح عليه أيضا ان يرسل تلغرافا يعزي فيه اللورد كيرزون بوفاة زوجته لعلمه بالصداقة التي ربطت بينهما.